

كتاب شهري محكم يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
يتناول نشر الدراسات والأبحاث التي
تخدم الإسلام في كافة المجالات



الدكتور محمود محمد عمارة

مراجعة وتصحيح

الدكتور الطيب بن عمر الحسن

عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

(الطبعة الثانية)

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٦ عام ١٤٢١هـ





وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا



مقــــدمــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعــــد :

فقد كان من رحمة الله تعالى بالانسان أن خلقه في أحسن تقويم وصوره فأحسن صورته على نحو يمكنه من تحقيق رسالته كخليفة لله في أرضه .

﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ، الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَىِّ صُورَةٍ مَا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [1] .

وبهذه الفطرة السوية النقية إمتاز الانسان على كثير ممن خلق الله :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ أَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [2] .

لقد وهبه الله الغرائز لتكون عوناً له في أمور معاشه . ثم منحه العقل .. ليميز الخبيث من الطيب .

وكان من تمام نعمته سبحانه وتعالى أن سلحه بالارادة لتضبط

---

(١) الانفطار ٦ : ٨ .

(٢) الاسراء ٧٠ .

الغرائز المندفعة إلى الاشباع .. والتي يعجز العقل فلا يستطيع وحده كبح جماحها .

ومن خلال المعركة الناشئة بين الغرائز والعقل . تباشر الارادة سلطتها فتنجح أو تفشل في تحقيق التوافق بين حاجات الانسان ومطالب الجماعة .. وعلى قدر نجاحها أو فشلها .. يكون نصيب الفرد من السعادة التي يسعى إليها . وحتي لا تزل قدم بعد ثبوتها .. بدت الحاجة ماسة إلى قواعد ثابتة توازن بين رغبات الانسان .. وتشد من أزره في محاولة ترويض الغرائز وإعلائها .. لتحقيق مصلحة الفرد والمجموع على سواء .

وهنا يبرز دور التربية .. من أجل أن تضع الحرب أوزارها بين غريزة ناشز .. وعقل عاجز .. وليخرج الانسان من خلال تجاربه .. وفي ظل هذه التربية أقدر على تحمل مسئولياته .

وهنا أيضاً مفرق الطريق بين مدارس التربية الحديثة ومنهج الاسلام الراشد في نظرته إلى الانسان :

فالنظريات الحديثة تركز على الجوانب المادية في كيان الانسان .. متجاهلة أشواق الروح .. من أجل ذلك لم تخفف من أعباء الانسان ـ بل إنَّها لتزيد من شقائه . ولكن الاسلام بمنهجه المتكامل .. ونظرته الشاملة إلى الانسان ـ جسماً وعقلاً وروحاً ـ يخاطب أقطاره كلها ..

ومن ثم .. وجدت كل نفس فيه ما يحقق سعادتها .. ويواكب رغباتها المتجددة بلا إفراط أو تفريط .. والنتائج الضخمة التي

حققها الاسلام في مجال التربية بهذه النظرة الشاملة .. راجعة في بعض جوانبها إلى طبيعة الجماعة الاسلامية ودورها في الحياة ..

بقدر ما كان فشل المذاهب الأرضية أيضاً مردوداً إلى طبيعة الأمم هناك ولون أهدافها .

إنَّ الأمة الاستعمارية مثلاً تعد أفرادها للغزو الخارجي كهدف أصيل تقيم عليه حياتها ..

وقد يكون لأمة مذهب سياسي خاص .. فهي تريد حمل الناس عليه .. فيجيء أسلوبها في التربية وفق تلك الغاية ..

وهذه الأهداف المتباينة تترك ولا شك آثارها في طبيعة الأفراد ..

ولكن الأمر بالنسبة لأمة الاسلام مختلف جداً :

فأمة الاسلام صاحبة رسالة إصلاحية شاملة .. تخاطب الناس في كل عصر ومصر .. فهي إذن تخضع في تنشئة أفرادها لأهداف رسالتها السامية ..

ومن ثم برئت من العيوب التي تمخضت عنها المذاهب الشيوعية والرأسمالية حين حصرتها أهدافها الاقليمية في دائرة ضيقة فلم تنجح في إسعاد الانسان .

ويبقي الاسلام دائماً بلسم جراحنا الشافي .. لأنه مع هذا وقبل هذا من لدن حكيم خبير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. فهو وحده سبحانه القادر بدينه القويم على إسعاد الانسان دنيا وأخرى . بما أنزل من كتاب يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ..

فلا أحد أصدق في وصف الانسان من خالق الانسان :

﴿إِنَّ ٱلإِنسٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [1] .

ولا أحد أحكم منه سبحانه في وضع منهج إرشاده لاسعاده :

وذلك قوله تعالى بعد ذلك :

﴿إِلاَّ ٱلْمُصَلِّينَ . ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وٱلَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ مَعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ . وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ..﴾ [2] .

وهذا سر النجاح الساحق الذي أكدت به التربية الاسلامية فعاليتها .. بل وهيمنتها ـ هو نفسه العامل الأساسي في دخول الناس أفواجا في دين الله ..

وتوارت بالحجاب فلسفات ومذاهب هيمنت على الفكر الانساني زمناً .

لكن الغزو الفكري الاستعماري لم يفقد الأمل بعد رغم الهزائم المنكرة التي مني بها .. وربما كان تفوقه في مجال المادة داعياً بعد السطحيين إلى الاطمئنان إليه والأخذ عنه .. حاسبين خطأً أن التفوق في باب الاختراع يستلزم صدق مذاهب المخترعين في مجال الاجتماع ..

مع العلم بأن هذا التلازم غير مسلم .. كما تفيد التجربة التي تراها اليوم في هذه الدول المتقدمة .. وما تحكيه من قصور في مباديء التربية بقدر النجاح في دنيا الاختراع ..

---

(١) المعارج الآيات (١٩ : ٢١) .
(٢) المعارج الآيات (٢٢ : ٢٣ : ٢٤ : ٢٥ : ٢٦) .

ومن هنا بدت الحاجة ماسة إلى توعية يستعيد بها المستغربون رشدهم .. ليروا عظمة المباديء الاسلامية .. ومدى قدرتها على إسعاد الحياة .. بعد أن أعلنت المذاهب الأرضية إفلاسها ..

وخاصة في مجال تربية النشء ـ وهو الأمر الذي كثر فيه المقلدون والأدعياء ـ وقد كان طبيعياً أن يفتن الجمهور بما في هذه الدعاوى من بريق يتملق عواطفهم .. والمغلوب دائماً مولع بتقليد الغالب ..

وقد ركز الاستعمار حملته في مجال الطفولة ـ في محاولات مكررة لتعكير هذا النبع الصافي .. في مستهل حياته حتي يمارس دوره بعد ذلك بشخصية مشدودة إلى مذاهب معينة تنسيه عمله الرئيسي في هذه الحياة كخليفة لله في أرضه .. وتطفىء في كيانه جذوة الحماس للحق الذي أقام الله عليه الكون ..

بل إنَّ خطة الاستعمار قد إشتد تركيزها على تربية « البنت » المسلمة فيما أنشأه من مدارس تشجيعية تصوغها على هواه ..

حتى إذا صارت بعد ذلك أما .. رحل عن بلادها قرير العين ـ بعد أن خلف من ورائه ربة البيت .. تنشىء أولادها على ما كان عودها الماكرون .. وهو الأمر الذي فتح أبصاراً وبصائر .. فوعت الدرس وشمرت ذراعها لتفوت على الاستعمار غرضه بعد أن تاه دليله .. وقاد الناس من عذاب صارت به الحياة جحيماً لا يطاق .

ونهض رجال مؤمنون ونساء مؤمنات .. ليضربوا ضربتهم .. والانسانية المعذبة تتلفت باحثة عن الخلاص ..

وقد بذلت جهود مخلصة في هذا المجال .. استبان بها سبيل

الاسلام في تربية النشء .. وصولاً إلى إنسان سوى يتحمل تبعة البلاغ .. ثم تبعة الجهاد . وشاء الله سبحانه وتعالى أن يوقظ في قلبي الرغبة للقيام بدوري .. تجاوباً مع هذه الجهود المبذولة .. في وقت تشتد فيه وطأة المذاهب الأرضية في محاولات مستميتة تمكنها على الأقل إن لم تحقق نصراً .. الا تترك الاسلام وحده فوق الساحة الكبرى .. يرثها مجدها الغابر ! !

وقد رجعت إلى الكتاب والسنة .. وسير الصحابة والصالحين إستلهمها جميعاً مبادىء الاسلام التي تشكل في مجموعها نظريته المتكاملة لاعداد النشء إعداداً نستعيد به صفاء الحياة يوم أن كانت للاسلام دولة غالبة .. وكلمة مسموعة .. وقد تكشفت لى أبعاد هذه النظرة الاسلامية الشاملة على نحو يزرى بما يدل به الأجانب ..

بل إنَّ كثيراً مما يزعمونه من قواعد في باب التربية منسوبة إليهم .. أمكن رجعه إلى الاسلام الذي سبق كل هذه المذاهب إلى وضع الخطة المثلى لاسعاد البشر .. بما قعد من قواعد .. وما أصل من أصول ..

وربت في صدري مشاعر الرضا .. والاحساس بنعمة الله عز وجل .. الذي إختص هذه الأمة بدينه القويم .. فكانت به خير أمة أخرجت للناس ..

وفي صحبة هذه المشاعر .. لاحظت قدر طاقتي كثيراً مما يضيفه السطحيون جهلاً أو تجاهلاً إلى المذاهب الأجنبية .. لينتسب إلى أبيه الشرعي .. الاسلام ! ودعوت الشباب المفتون بأنماط الحياة

هناك .. ليواجه حقائق دينه .. ووقائع تاريخه .. لتزداد حجة الحق في وعيه اتضاحاً .. بقدر ما تزداد شبهة الباطل افتضاحاً !

ثم يزهو معتزاً بهذا الدين .. ليغالي به في معركة القيم .. ثم ليكون بعد ذلك صورة له .. ودليلاً عليه .. ومدافعاً عنه ضد مباديء مستوردة تحاول إقصاءه عن عقيدته .. وهي سر قوته ..

وقد احتكمت في تقرير الحقائق إلى آيات القرآن الكريم .. ثم الاستشهاد بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله بما يزيد معني الآيات وضوحاً في الأذهان .. وخلال ذلك واجهت الواقع الماثل بما استبان من حقائق الاسلام في باب التربية .. ليرى على ضوئه مدى صحة الحياة التي يمارسها .. وقيمتها في ميزان هذه الحقائق وقد ركزت على دور المسلمين الكبير بما وضعوه من قواعد التربية السليمة كالغزالي وابن سينا وابن خلدون .. إلى حد يفضي بنا المغالاة بهذا التراث العظيم .. والعودة إلى ذلك المنهل العذب من جديد .. ونحن في دعوتنا إلى هذه الرجعة المخلصة الواعية .. لا نحاول العودة بالحياة إلى وراء ! .

ولكنها العودة إلى مرفأ الأمان !

إلى نظرية الاسلام المتكاملة لتكون حكماً فيما شجر بيننا من خلاف بدد كثيراً من طاقاتنا في غير ما خلقت له ..

وقد آن الأوان لنستلهم دستور حياتنا اليومية من هذه المباديء .. لنستأنف السير من جديد على الطريق المستقيم ..

ولنقف بهذه الاستقامة على مفترق الطرق .. شاهدين على

الناس .. مهيمنين بهذا الدين .. وبهذا الكتاب .. على كل دين .. وكل كتاب . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١] .

---

(١) الأحقاف ١٥ .

الاسـلام
وبنـاء الأسـرة



تمهـيد :

المراد بالنشء

(النشء والنشأة : احداث الشيء وتربيته .. وقوله تعالى : ﴿ أو من ينشأ في الحلية ﴾

أى : يربي تربية كتربية النساء)[1]

فالناشىء بهذا المعني هو الطفل المأخوذ بالتربية والاعداد حتي يبلغ الحلم . وهى الفترة التي تتحدد فيها ملامح شخصيته الرئيسية .. ويستعد باستكمالها لتسلم زمام نفسه .. ومواجهة الحياة وحده .. بحصيلة من هذه التربية التي تقف به على أعتاب الرجولة .

وقد فصلت التربية الحديثة فترة الطفولة بما لا يخرج عن هذا المعني فجعلتها :

(ثلاث مراحل رئيسية :

الأولى : من الولادة إلى سن ثلاث سنوات .

والثانية : من سن ثلاث سنوات إلى حوالى الثامنة .

وتنتهي الثالثة عند بدء المراهقة)[2] .

أى أن فترة التنشئة والتربية تواكب الطفل من ولادته .. وتنتهى بتكون عناصر الشخصية .. ثم تبدأ بعدها مرحلة تشمر فيها

---

(١) مفردات غريب القرآن للأصفهاني .

(٢) التكامل النفسي للدكتور يوسف مراد ص ٩٠ .

تلك التربية ثمرتها في نفس الفرد والمجتمع .. وهى المرحلة المعروفة في الشرع بالتكليف .. والتي يتحمل فيها الفرد مسئوليته .. ويحاسب فيها على كل ما قدمت يداه .

معني التربية

في تحديد معني التربية يقول صاحب مفردات غريب القرآن إنها :

(إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام)

والمربي بهذا المعنى هو : الذي يتعهد الولد بالرعاية والتأديب حتى يسوى بعد ذلك رجلاً . يقال :

(رب زيد الأمر ربا من باب قتل إذا ساسه . وقام بتدبيره . ومنه قيل للحاضنة ربة)[1]

فالله سبحانه وتعالى هو الرب .. لأنه أوجد وأبقي على هذا الوجود كله . كما قال عز وجل : **﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾**[2]

والوالد والمعلم كلاهما أب :

فالأب سبب في الوجود .. ودوره في التربية معروف .

والمعلم هذب وأصلح فكان جديراً بهذا الوصف .

---

(١) مفردات غريب القرآن .

(٢) سورة يونس : ٣ .

يقول صاحب المفردات :

(ويسمي معلم الانسان أباً . لما تقدم من ذكره .. وقد حمل قوله تعالى « وجدنا آباءنا على أمة » على ذلك .. أى : علماءنا الذين ربونا بالعلم .. بدلالة قوله تعالى : **﴿ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾**[1] وقيل في قوله **﴿أن أشكر لى ولوالديك﴾** أنه عني الأب الذي ولده . والمعلم الذي علمه) .

وإذ يقرن الحق سبحانه شكره بشكر الوالدين .. فانه تعالى يلفت الأنظار إلى ما للتربية من خطر عظيم يستدعى الشكر الدائم لمن قام بها ..

لأنها اعداد للانسان يمكنه من عبادة ربه .. وعمارة حياته .. وبدونها يكون هملا ..

فضل التربية

(عن ثوبان أن النبي ﷺ قال :

أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله . ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله .

ودينار ينفقه الرجل على أصحابه .

قال أبو قلابة[2] :

بدأ بالعيال . ثم قال :

وأى رجل اعظم أجراً من رجل ينفق على عيال له صغار ..

---

(١) سورة الاحزاب : الآية ٦٧ .

(٢) من التابعين واسمه : عبدالله بن زيد بن عمرو .

يعفهم الله به . ويغنيهم الله به .)[1] .

فأنت ترى الانفاق على الذرية يقف على رأس القائمة .. فاذا كان المسلم مأموراً بالانفاق على كل مستوى .. فان الدينار ينفقه على ولده أعظم صور الانفاق ..

وليس المقصود فقط ملء البطن بالطعام ..

لكنه الانفاق الذي يحقق أمرين :

١ ـ إنقاذ الطفل من الضياع في حال إهماله .. لا سيما حال الصغر التي تنقش فيها الطباع .. وتغرس العوائد ..

٢ ـ تسليحه بالأخلاق الفاضلة :

عفة تنأى به عن مواطن الابتذال ..

وقناعة لا تحوجه إلى الآخرين ..

بحيث يشب عن الطوق سوى الخلق . مستقل الشخصية .. حتي إذا تخطى عتبة البيت .. وتعامل مع المجتمع كان مزوداً بهذه الفضائل .. والتي يصب منها في مجرى الحياة الاجتماعية . فاذا هي تمضي به ويغيره على أوفي معاني العفة والاباء .

تربية الروح .. قبل تربية الجسم

ومعني ذلك أن الوالد المكلف باعداد الجسم .. مكلف أيضاً بتربية الروح ـ قبل ذلك ..

وإذا رصدت الأسرة مالها وأعصابها ليتفوق الولد في مراحل

---

(١) الترمذي . باب أدب الولد . حديث حسن صحيح .

التعليم .. فان هذا التفوق يظل ضئيل الأثر إذا لم يستهدف تقويم خلقه . وصقل روحه .. يربطه بالرافد الأعظم .. وهو القرآن الكريم :

(إن القرآن يأتي أهله يوم القيامة أحوج ما كانوا إليه . فيقول للمسلم : أتعرفني ؟

فيقول : من أنت ؟

فيقول : أنا الذي كنت تحب وتكره أن يفارقك .. الذي كان يشجيك ويذيبك .

فيقول : لعلك القرآن .

فيتقدم به على ربه عزّ وجل . فيعطي الملك بيمينه والخلد بشماله . ويوضع على رأسه السكينة . وينشر على أبويه حلتان لا تقوم لها الدنيا أضعافاً ـ أى لا تساويها ـ فيقولان :

لأى شيء كسينا هذا .. ولم تبلغه أعمالنا ؟ فيقول : هذا بأخذ ولدكما القرآن[1] .

وإذا إستعظم الوالدان هذا الجزاء المبارك فان منزل القرآن سبحانه يعلم ما يصيب الذرية من خير يصلح به الولد في دنياه وأخراه ..

ولا بأس أن يكون الولد ضابطاً أو مهندساً أو طبيباً .. ما دام موصولاً بمدد القرآن . الذي يجعل من هذه الوظائف رحمة مهداه .

ومعني ذلك أن الولد الصالح خير ميراث للوالدين .. وأربي في

---

(١) جمع الجوامع . وجاء في الهامش : قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ـ ١٢٠ : وفيه سويد بن عبدالعزيز وهو متروك . وأثني عليه هيثم خيراً . وبقية رجاله ثقات .

الميزان من كل صور البر جميعاً .. حتي الصدقة على ما لها من شأن :

قال ﷺ :

(لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع)[1]

إن القرش تتصدق به يسد الجوعة . ويستر العورة . لكن أثر ذلك قد يذهب مع الأيام ..

لكن المبادرة الطيبة تصلح بها من شأن ولدك .. الذي يمكن أن يصلح به مجتمع بأسره :

روى الترمذي :

(ما نحل والد من نحل أفضل من أدب حسن)

فلا بأس أن يخلف الوالد من بعده ثروة وضياعاً .. وأفضل من ذلك كله : حسن تأديبه لولده .. ليوجه الثروة بهذا الأدب لخدمة دينه ومجتمعه .

ولو تأملنا لفظ « نحل » لوجدناها تعني : الهبة .. عن طيب نفس .. وربما جاز لنا أن نقول :

إنَّ الوالد الذي ينفق على ولده ليكون ـ بالذات طبيباً . أو مهندساً يدر عليه ربحاً وفيراً . يكون قد وهب ولده فعلاً لكنها الهبة التي تحول الأمر إلى تجارة تتوخى الربح ! !

ومفروض عليه أن يعينه على أمر الله ليخرج إلى الحياة رجلاً .. بغض النظر عن طبيعة الوظيفة .

---

(١) الترمذي كتاب البر ـ مسند الامام أحمد جزء ٥ ـ ٩٦ .

خطر الاهمال

وعلى الطرف الآخر نرى الاهمال في التربية سيىء العقبي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(أعينوا أولادكم على البر . ومن شاء استخرج العقوق من ولده)

إن مهمة الوالدين لا تنتهي بالقاء دروس التربية إلقاء .. بل لابد أن يعينا ولدهما على برهما بحسن التطبيق وجميل المعايشة ..

فاذا أهمل الوالد .. لا يجني الا الشوك .. لأن بروله له .. لا ينشأ من فراغ ..

فضل تربية البنت

وللبنت في المنهج الاسلامي إعتبارها الخاص .. لقد وقف الاسلام إلى جانبها . وشدد النكير على إهمالها .. وضاعف الجزاء لمن أعطاها حقها .. وكان لهذه العناية ما يبررها :

١ ـ إنها ضعيفة رقيقة المشاعر .

٢ ـ ليس في طباع الآباء ما يدعو إلى الترحيب بها .

٣ ـ ما تحققه تربيتها من أثر مبارك .. ينسحب على الذرية التي تجيء امتداداً لها .. روى الحاكم في المستدرك . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن[1] وضرائهن أدخله

---

(١) الأواء : الشدة .

الله الجنة برحمته إياهن .

فقال رجل : وإن بنتان يا رسول الله؟

قال : وإن بنتان .

قال رجل : وإن واحدة يا رسول الله ؟

قال : وواحدة)

والتنصيص على الثلاث أولاً .. إشارة إلى قمة الفضل في هذه الصورة .. فالعدد الكثير .. يتيح وجود المتناقضات داخل البيت .. ومن ثم يكون خطر التربية حينئذ . وفضلها أيضاً :

ففي البنات .. الذكية .. والغبية !

وفيهن الجميلة .. ومتوسطة الجمال ..

وفيهن الصحيحة .. والمريضة ..

فاذا استطاع الوالد قيادة السفينة بنجاح .. وأن يجانس بين هذا الاختلاف .. بلا صدام ..

إذا استطاع التغلب على حدة التنافس ـ وما أظهره في الوسط النسائي ـ استطاع في نفس الوقت أن يحقق نجاحاً .. لا يقدره قدره إلاّ الحق سبحانه ..

ولعلنا نفهم الآن سر عناية أعداء الاسلام بتربية البنت .. البنت المسلمة ـ ! ! ـ باعداد دور التعليم الخاصة بها ! .

إنها أم المستقبل .. فاذا استطاع أن يصوغ شخصية البنت المسلمة وفق مناهجه وثقافاته يكون قد أصاب من أمتنا مقتلاً ..

والأمة الاسلامية مطالبة بأن تفتح أعينها جيداً لتفوت على أعداء الدين فرصة نقدمها لهم بغفلتنا عن سنة رسولنا ﷺ ..

شـروط الاسـلام
في بنـاء الأسـرة

(ما هو تعريف الزواج قبل أن يعرفه القرآن الكريم ؟

هل هو صفقة تجارية بين شريكين في المعيشة ؟

هل هو وسيلة من وسائل الضرورة لاسكات صيحات الجسد .. والاستراحة من غوايته الشيطانية ؟

هل هو تسويغ الشهوة بمسوغ الشريعة ؟

هل هو علاقة عدمها خير من وجودها إذا تأتي للرجل أو للمرأة أن يستغنيا عنها ؟ كان هذا وأشباهه أعلى ما تصورته المجتمعات والعقائد من صور الزواج .. قبل الايحاء بالقرآن الكريم .

ولكن الزواج في القرآن الكريم :

هو الزواج الانساني في وضعه الصحيح . ومن وجهة المجتمع ومن وجهة الافراد : فهو واجب اجتماعي .. من وجهة المجتمع . وسكن نفساني من وجهة الفرد .. وسبيل مودة بين الرجال والنساء)[1]

وما ذهب إليه العقاد رحمة الله عليه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى في سورة الروم (٢١) :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِليهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحمَةً إِنَّ في ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

---

(١) ٦٣ الفلسفة القرآنية للعقاد ط لجنة التأليف .

لقد استبعد الاسلام كل مفهوم خاطيء للزواج .

ثم حدد طبيعته وأهدافه المحققة لوجود الفرد بين أسرته .. وليسهم بهذا الوجود في ترقية الحياة .. على نحو يتخطى كل هذه المفاهيم القاصرة .. ليبقى له معناه الالهي كآية من آيات الله تعالى :

فالزوجة من جنس الزوج .. فهي إذن تقف معه على قدم المساواة من هذه الحيثية .. مدفوعة بمسئوليتها معه في تكوين الأسرة ..

ثم إن التجانس المشتق من وحدة النوع من شأنه أن يحقق الوفاق بينهما .. وهذا هو معني الاستقرار ..

ومنطلق اللغة يدعم ذلك .. يقال :

(سكن إليه إذا مال . فان المجانسة من دواعي التضامن والتقارب . كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر)[1] (أى أن الجنسية توجب السكون) كما يقول الفخر الرازي . وحتي يستمر هذا الوفاق ويأخذ مجراه في الحياة .. فوق المشاكل اليومية العارضة يتلطف الحق سبحانه وتعالى فيجعل بينهما مودة .. ورحمة : « يجعل » هو سبحانه ولا يترك ذلك لمزاجها الشخصي ..

وإذا كانت المودة « محبة الشيء وتمني وجوده »[2] فان العلاقة بين الزوجين لا تقف عند هذا الوجدان القلبي .. بل يتحول الوجدان إلى خلق إيجابي هو الرحمة وهي :

---

(١) الألوسي تفسيره للآية الكريمة .

(٢) مفردات غريب القرآن .

« رقة تقتضي الاحسان إلى المرحوم »

أى أن حكمة الله عز وجل تقف بكلا الزوجين في مقام التضحية .. إبقاء على أسرة لا تقيمها المشاعر وحدها ..

فبالرحمة يحسن الزوج إلى زوجه إحساناً ينسيه ما في صاحبه من نقص ربما كان نعمة لا تظهر آثارها للعين المجردة ..

يقول الرازي في تفسيره للآية الكريمة :

(وذكر هنا أمرين أحدهما يفضي إلى الآخر :

فالمودة تكون أولاً . ثم انها تفضي إلى الرحمة . ولهذا فان الزوجة قد تتخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض ويبقى قيام الزوج بها)

ويشجب الرازي بمنطقه ما تعارفت عليه المدنية الحديثة من بناء الأسرة على جسر من المتعة العارضة . ليبقى بناء الأسرة محكماً بما قعد الاسلام من قواعد . وحتى في اللحظة التي تخلو فيها المرأة من كل إغراء . لا يليق بالزوج أن يتخذ سبيله إلى أخرى أرواء لشهوته .. فالتعدد هنا ليس هو البديل ..

ولكن هناك موقف إنساني آخر .. يتسلح فيه الزوج الوفي بخلق الرحمة يربطه بتلك التي قاسمته سراء الحياة وضراءها .. فيقف معها .. ويقاسمها آلامها .. وفي وقفته متعة لا يحس بها إلاّ الذين أتوا من الرحمة قدراً يمكنهم من التحليق إلى فوق دائماً . متجاوزين السفوح الهابطة لطلاب المتعة .. من أي سبيل .. ومهما كان الثمن ..

وبهذا المفهوم تتميز الأسرة الاسلامية بطابعها الفريد وهدفها البعيد .. إزاء الأسرة في الغرب والتي صارت غايتها :

(التلاقي العابر على متعة شخصية قلقة . لا إستقرار معها . لأنها لا قداسة لها .

حتي المواليد في مفهوم هذه الأسرة لا أثر لهم في تكوين أى ضرب من الروابط الروحية بين أعضائها :

لأنهم غير مسموح لهم بالخروج إلى الدنيا . ولا البقاء فيها إلاّ ضمن حدود المصلحة المادية نفسها .

فاذا بلغوا حدود القدرة الذاتية فصلوا عن جسم الأسرة بقسوة ليضربوا في جوانب الأرض على غير هدى .

ثم لا يبالي أحدهم أن يلتي الآخر أو يطمئن على وجوده ..

حتي إذا وافي أحد الوالدين شبح الموت . ورغب في مشاهدة ولد له لجأ إلى الاذاعة الخاصة يناديه .

وقد يبلغ الانفصام في الواحد من هؤلاء الأعضاء أن يوصي بثروته كلها لكلب أو قط .. دون أن يشعر بأية عاطفة نحو قريب له .. مهما تبلغ حاجة هذا إلى عطفه)[1] . وقد إستشرى هذا الجفاف إلى حد دعا حكومة ألمانيا إلى استجلاب العطف على أطفالها المساكين .. وذلك فيما نشرته جريدة (الجمهورية)[2]

(السلطات الألمانية في همبورج اكتشفت أن أطفال المدينة يعيشون حياة « الأقلية » داخل المجتمع الألماني) .

ومن ثم بدأت في المدينة حملة واسعة النطاق تحت شعار :

(كن عطوفاً على الأطفال)

---

(١) الأستاذ محمد المجذوب ـ مجلة الوعي الاسلامي العدد ٨٥ .
(٢) ١٩٧٣!٤!٢م .

في محاولة لاشعارهم بالانتماء إلى المجتمع الألماني المنصرف عنهم تماماً . إلى جانب انصراف الأزواج الجدد عن التناسل ـ تماماً . مما يهدد بوجود اختلال في التوازن في مستوى الأعمار داخل المجتمع الألماني .

الحملة أيضاً تطالب الأزواج الجدد : بطفل آخر من فضلك ـ ! ! ـ

ولكن الوضع في المجتمع الاسلامي يختلف .. فلا حاجة به إلى إستجداء هذا العطف . والأمر متروك إلى وجدان المسلم المتصل بالقادر سبحانه وتعالى .. وبهذا الوجدان الحى يظل مصدر خير بولده .. وبكل طفل ينمو في مجتمعه ..

بل إنَّ المسلم ليقف على مفترق الطرق فلا يلهيه تعلقه بولده عن إرتباطه بوالديه .. إن الحياة المندفعة قد تلفت المرء بقوة إلى أمام إلى المستقبل في شخص ولده .. وقد ينسي والديه—في غمرة الصراع .. ولكن الايمان يقف به على سواء الصراط فيتسع قلبه للحياة الغاربة والمقبلة على السواء . محققاً بذلك أرقي ما وصلت إليه الانسانية في مجال الترابط العائلي الأسري ..
وذلك قوله تعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]

بيد أن ذلك المستوى الأسرى الراقي لا يتحقق في يوم وليلة .. ولكنه محكوم بمنهج راشد ضمن به الاسلام سعادة الانسان في مجتمعه الصغير والكبير وذلك إجمال نفصله في الصفحات الآتية :

مقصـــود الزواج

قبل أن نلم بشروط الاسلام لاختيار شريك الحياة . لابد لنا من بيان مقصود الزواج الأصلي ..

ما هو؟

فان معرفة المقاصد أعون على اختيار أنسب الوسائل لتحقيقها .. فما هو مقصود الزواج في الاسلام ؟

إنه الولد الصالح .. كما يفهم من قوله تعالى :

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[2]

يقول إبن كثير : يعني الولد . وهو قول القرطبي القائل : معناه : وابتغوا الولد . وهو أيضاً ما ذهب إليه الغزالي حين يذكر فوائد النكاح فيقول :

(الفائدة الأولى : الولد . وهو الأصل وله وضع النكاح . والمقصود إبقاء النسل . وأن لا يخلو العالم من جنس الانس . وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة)[3]

---

(١) الأحقاف ١٥ .

(٢) البقرة ١٨٧ .

(٣) الاحياء ــ باب الولد .

بل إنَّ الزواج من أجل الذرية من سنة المرسلين مع ما فرض عليهم من البلاغ :

يقول سبحانه :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (١)

والاحاطة بهذه السنة .. والاذعان لها يعين الانسان على حفز الهمة لها لتحقق الغرض منها .. وليتجاوب الانسان بهذه الزوجية مع الكون الذي أقامه الله تعالى على نفس القانون .. قانون الزوجية :

يقول الأستاذ البهي الخولي :

(إذا عرف المرء أن الزواج سنة أزلية .. **﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾** وأنه فطر على ما يوائم هذه السنن . فقد وقف على رأس أمره . وهدى إلى ما يصلحه ويسعد عاقبته . وقد سن الزواج للنسل والسكن النفسي . والالتقاء على ما يثمر المودة والرحمة ومشاعر الخير والتواصل .

ومن البديهي أن أفضل الزوجات هي ما يتوفر فيها من خصائص النفس ومزايا الروح ما يجعلها أقرب من غيرها إلى تحقيق مقاصد الزواج الحسية والمعنوية على خير وجه) (٢)

وفي قوله تعالى :

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ﴾ (٣) ما يؤكد واقعية الاسلام وتجاوبه مع فطرة

---

(١) الرعد ٣٨ .

(٢) الاسلام وقضايا المرأة ص٧٨ وما بعدها .

(٣) البقرة ٢٢٣ .

الانسان :

إن « التقديم للنفس » يعني إستهداف غايات أبقي من وراء الزواج .. وعلى رأسها : إنجاب الولد الصالح .

ومن ثم .. فالوقوف عند حد الأرواء الجنسي ـ كما هو الحال في المذاهب الأخرى ـ لا يعدو أن يكون وضعاً حيوانياً تأباه طبيعة الانسان .. وبالتالي فهو قاصر عن تحقيق الغاية من الزواج .. ولكن الاسلام يرفض هذا السلوك الحيواني البحت .. أن يكون هو الغاية وحده ..

وفي الوقت الذي يستجيب فيه لنداء الفطرة الانسانية المتطلعة إلى الارواء الجنسي .. لا يقف بالانسان عند هذا الحد .. بل يلبي فيه أيضاً أشواقه إلى المودة والسكن .. إنَّ الزوجة ـ كما تشير الآية الكريمة ـ ملك يديك .. وفي كل وقت .. وعلى أى وضع شئته .. شريطة أن يكون المأتي هو مكان الحرث المحقق لمقصود الزواج .. وحتي في مثل هذه اللحظات التي تعزل الانسان عن الحياة العادية .. عليه أن يتذكر جيداً أنه أمام أرض .. في حاجة إلى حرث .. وبذر يرجى أن يورق بعد حين باذن ربه .. ومن ثم كان الاستفتاح باسم الله تعالى بين يدي لقاء الزوجة معبراً عن هذا المعني ودافعاً إليه ..

أى أن الآية تعبر بالكلمة الموحية عن الموقف أصدق تعبير يجد فيه الجسد والروح معاً ما يلبي حاجتهما إلى الارواء والسكن ..

جاء في تفسير المنار شرحاً للآية الكريمة :

(فهذه أمور تدل على أن هناك شيئاً يرغب فيه . وشيئاً يرغب

عنه ويحذر منه . أما ما يرغب فيه :

فهو ما يقدم للنفس . وهو ما ينفعها في المستقبل . ولا أنفع للانسان في مستقبله من الولد الصالح . فهو ينفعه في دنياه كما هو ظاهر . وفي دينه من حيث أن الوالد سبب وجوده وصلاحه . وقد ورد في الحديث :

إن الولد الصالح من عمل المرء الذي ينفعه دعاؤه بعد موته . ولا يكون الولد صالحاً إلاّ إذا أحسن والده تربيته .

فالأمر بالتقديم للنفس يتضمن الأمر باختيار المرأة الودود الولود . التي تعين الرجل على تربية ولده بحسن خلقها وعملها .. كما يختار الزراعة في الأرض الصالحة التي يرجى نماء النبات فيها . وايتاؤه الغلة الجيدة . ويتضمن الأمر بحسن تربية الولد وتهذيبه .

وأما ما يحذر منه ويتقي الله فيه :

(فهو إخراج النساء عن كونهن حرثاً باضاعة مادة النسل في المحيض . أو بوضعها في غير موضع الحرث . وكذلك إختيار المرأة الفاسدة التربية . وإهمال تربية الولد)[١]

ونستطيع بعد ذلك أن نقول :

إن العلاقة الغرزية رغم أهميتها ـ لا تصلح وحدها أساساً للبيت الصالح . لأن إشباع حاجات الانسان إلى السكينة والقرار ضرورة من ضرورات الحياة أيضاً .. وهذا ماتكفل به الحق سبحانه حين جعل من المودة والرحمة رابطة لا تنفصم عراها حتي لو تقدمت

---

(١) تفسير المنار ط الشعب ٢٨٨ .

السن بالزوجين ولم يعد أحدهما محل رغبة فان هذه العلاقة لا تضعف .. بل ربما زادها القِدَم رسوخاً .

ثم إنَّ اللقاالجنسى أمر ينعكس على الزوجين كليهما ..

أما فضائل المودة والرحمة فهى أمور لازمة لتنشئة الذرية على نحو يعدها للحياة فى المجتمع الكبير..

ولو وقفت بالانسان آماله عند قضاء شهوته لسقط فى درك من الهوان ـ ليكون أقل من ذلك الحيوان .. الذى يحقق وجوده بالنسل فى وقت يجتهد فيه (التقدميون) لحرمان أنفسهم من هذا الفضل الذى سبقهم إليه الحيوان الأعجم !

قواعد الاختيار

إذا كان مقصود الأسرة الرئيسى هو الولد الصالح .. فلا يمكن أن يكون مجرد لقاء رجل بامرأة محققاً لهذا المقصود .. بل لابد من قواعد وأسس يعلو فوقها البناء .. وذلك ما قرره الاسلام بما فصل من أمور لابد منها عند إختيار شريك الحياة المعين على تحقيق هذا المقصود .. بل لابد من قواعد وأسس يعلو فوقها البناء .. وذلك ما قرره الاسلام بما فصل من أمور لابد منها عند إختيار شريك الحياة المعين على تحقيق هذا المقصود :

لقد فسدت مقاييس الاختيار بعد الغزو الثقافى الوافد .. والذى يستهدف التشكيك فى قيمنا وأصول الحياة فى إسلامنا .

وكان الواقع أصدق أنباء حين قضى بفشل التجربة التى تنكبت طريق الاسلام فى نظام الأسرة . وزادت نسبة الطلاق فى بيوت

تعيش في مستويات إقتصادية عالية ..

إن الذين جمعتهم الدنيا .. تفرقهم الدنيا .. والذين تلاقوا بدافع الطمع في الجمال أو المنصب فرقتهم أيضاً بروق المطامع ..

والذين حاولوا إرساء بيوتهم على نظرة .. فابتسامة تهدمت بيوتهم بعد أن غابت الابتسامة .. وتحولت العين باحثة عن صيد جديد .

وانكشفت الرغوة العائمة عن طبيعة معتمة لا تصلح لعمارة البيوت .

بيد أن موقف الاسلام في الاختيار .. يتجاوز كل هذه الصغائر .. لينفذ إلى الجوهر المخبوء .. فيضع قواعده في إختيار الزوجة أو الزوج على نحو تستقيم به الحياة .

وقد سئل ابن عيينه عن معني (تخيروا لنطفكم) فقال : يقول : وذلك أن يضع ولده في الحلال .. ألم تسمع إلى قوله تعالى :

(﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾ وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال .. فلا يقطع رحمه ولا نسـ· .. فانما للعاهر الحجر .. يختار الصحة . ويجتنب الدعوة .. ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله)[1]

وإلى هذا المعني يرجع ما قرأناه لبعض كتاب الغرب :

---

(١) الكشاف عند تفسير قوله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به .... سورة النساء آية ١ .

أَنَّ تربية الطفل قد ترجع إلى ما قبل ولادته بخمسين عاماً :

فان الانجليز مثلاً لكى يقوموا بواجبهم نحو طفل الغد فان الوالد يبحث عن زوج لم يعرف عن أبيها وجدها أن واحداً منهما مريض بذات الرئة ..

أو أنه من ضعاف العقول ..

وقد سبق ابن عيينه هؤلاء جميعاً بما قرره من ضرورة إختيار الصحيحة في جسدها فراراً من خطر الوراثة ..

لكنه بحكم إسلامه يضيف ضرورة أن تكون صحيحة أيضاً في تدينها وخلقها .. ليمكنها بذلك الرصيد أن تحسن تبعلها لزوجها .. وتربيتها لولدها ..

وقد حان الوقت لنقف بين يدي آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ .. نستلهمها قواعد الاختيار السليمة .. ثم نقدمها للذين إبتعدوا عن هديهما في هذا الموطن فوقعوا بسوء إختيارهم في مشاكل لا نجاة لهم منها إلاّ بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قواعد الاختيار
من القرآن الكريم
والسنة المطهرة

ونقرر هنا باديء ذي بدء :

أن الاختيار سبب عادي للسعادة .. وإلاّ .. فقد يكون الزوجان كلاهما صالحين ومع ذلك تجيء ذريتهما فاسدة .

وإلى هذا يشير قوله سبحانه :

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[1] يقول الخطيب الشربيني تفسيراً للآية الكريمة :

(ومن ذريتهما محسن أى : مؤمن وطائع . وظالم : أى كافر وفاسق . لنفسه مبين . أى ظاهر ظلمه .

وفي ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال .

وأن الظلم في أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب) .

ومن هنا تشتد الحاجة إلى التربية .. وواجب الزوجين إزاءها خطير .. لما لها من الأثر المباشر فيها .

وعن قواعد الاختيار يتحدث القرآن الكريم في كثير من آياته :

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُم وَٱللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ

---

(١) الصافات ١١٣ .

(٢) النساء ٢٥ .

وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [1] .

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَامي مِنكُمْ وَٱلصالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [2] .

ومن هذه الآيات نستخلص ما يلي :

١ ـ الأفضل أن تكون الزوجة ـ والزوج طبعاً ـ مؤمنة حرة .. لتستعين بايمانها وحريتها على إدارة بيتها بما فيه ومن فيه .

٢ ـ فاذا لم تسمح الظروف بزواج على هذا المستوى .. فيباح التزويج من الأمة شريطة أن تكون مؤمنة .. على جانب من الخلق يعصمها من الزلل وإتخاذ الأخدان .. من حيث كان وضعها الاجتماعي يعرضها للانحراف .

٣ ـ على أن يكون ذلك الزواج ضرورة (لمن خشي العنت) والوقوع في المعصية .. مع العلم بأن الصبر أفضل .. حتي يسمح الوضع الاقتصادي بالزواج من الحرة ..

٤ ـ وإذا كان زواج الأمة لا تتقبله النفوس بسهولة .. فان الآية تذكر الشباب بأن (بعضكم من بعض) .

فلا مفر من الرضا بها .. ومحاولة التوافق .. لأن الحرية إذا فاتت .. فقد بقي الايمان عنصراً له أهميته في تحقيق التجانس .

٥ ـ ولكن هذه الأمة بازاء المشركة خير ألف مرة ومرة ـ وكذلك العبد المؤمن إزاء المشرك ـ لأن الشرك وما يورثه من فساد خلقي

---

(١) البقرة ٢٢١ .

(٢) النور ٣٢ .

وفكري لا يجعل بين المسلمة أو المسلم وبين المشرك نقطة لقاء بعد أن اشتط المزار بينهما :

فالمسلم يدعو إلى الجنة ..

والمشرك يدعو إلى النار ..

وشتان بين الغايتين ..

٦ ـ وإذا كان المفروض في الأمة أن تكون فقيرة .. فلا بأس .. فالله واسع عليم وسوف يغنيهما من فضله ..

على أن المبادرة إلى زواج كهذا توفرت دواعيه .. يمهد للقاء على سنة الله ورسوله فراراً من لقاءات محرمة كان يمكن أن تتم لو لم نفتح ذلك الباب .

٧ ـ والآية الأخيرة تضع وصف (الصلاح) ضد الفساد كما يفهم من قوله تعالى :

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[1]

وقد عبر قدماء الفلاسفة (بالكون والفساد) فأرادوا بالأول : تآلف عناصر الشيء على نحو يحقق الغرض منه .. فاذا تحللت هذه العناصر واختلت نسبها واضمحلت روابطها كان هذا هو الفساد .

واذن فوصف الصلاح هو (أكسير الحياة) كما يقولون .. وهو يعني صلاحية الزوج والزوجة من الناحية الخُلقية والخِلقية لتكوين أسرة متوازنة متجانسة تصلح محضناً لجيل المستقبل .

فاذا انخدش هذا الوصف ترك بمقداره من الآثار في جو الأسرة

---

(١) الأعراف ٥٦ .

بما فيها من ذرية تتأثر قطعاً بما ترى وما تسمع .

وهذا الانسجام في ظل من صلاحهما يكون منهما شركة تنتهي بذرية صالحة .. بقدر ما يؤدي إلى رخاء إقتصادي لم يكن للعين المجردة أن ترى مباديه .. ولم يكن للظن أن يتنبأ به .. مع أن ذلك حقيقة واقعة :

جاء في تفسير ابن كثير للآية الكريمة :

(بلغني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال :

أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح .. ينجز ما وعدكم من الغني .

قال : « ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله »

ثم يروى قوله ﷺ : ثلاث حق على الله عونهم :

الناكح يريد العفاف . والكاتب يريد الأداء . والغازى في سبيل الله . والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية له .. ولها) .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك : أن المعهود أيضاً من تجارب الحياة أن تكفل الله تعالى بالرزق إنما يكون بعد توفر أسبابه من صلاح النفس والجسم معاً بالنسبة للطرفين مجتمعين .. وتجنب معصيته سبحانه فان (للسيئة ظلمه في القلب . وسواداً في الوجه . ووهناً في البدن . ونقصاً في الرزق . وبغضاً في قلوب الخلق . كما يروى ذلك عن إبن عباس)[1] . وإذا كان للسيئة هذا الأثر

---

(١) تفسير سورة النور لابن تيمية تحقيق صلاح عزام ص ١٢ .

الواضح في واقع الانسان : في صحته ورزقه ووضعه الاجتماعي ..
فان للصلاح أثره العكسي في واقع الانسان أيضاً :

يقول سبحانه بعد ذلك :

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[1]

وفي الآية أمر بالاستعفاف إذا لم تتوفر لدى الراغبين مئونة الزواج[2] فقد يتخلى الشاب عن شرطه في شريكة حياته إذا لم تواته الظروف المالية . وتحت وطأة الغريزة يندفع للزواج ممن لا تصون عرضاً ولا تحوز خلقاً .

وهنا يكون الخطر الذي حذر منه علماؤنا حين شددوا النكير على الاقتران بسيئة الخلق .

(قال بعض العرب :

لا تنكحوا من النساء ستة :

لا أنانة . ولا منانة . ولا حنانة . ولا تنكحوا حداقة ولا براقة . ولا شداقة :

أما الانانة : فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة . فنكاح المراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه .

والمنانة : هي التي تمن على زوجها فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا .

والحنانة : التي تحن إلى زوج آخر . أو ولدها من زوج آخر .

---

(١) النور ٣٣ .
(٢) يقال مئونة ومؤنة .

وهذا أيضاً مما يجب إجتنابه .

والحداقة : التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها تشتهيه . وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة : تحتمل معنيين :

أن تكون التي تصقل طول النهار وجهها وتزينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع .

والثاني : أن تغضب على الطعام فلا تأكله إلاّ وحدها)[1] .

فانظر كيف ذهب التدين .. فذهب معه الصلاح ـ وتعذر الاصلاح . ولم يبق للتربية بال فارغ .. أو مزاج معتدل ..

وإذا تعذر الوفاق مع هذه العيوب على فرض أن الزوجة مسلمة .. فان الزواج من المشركة بطبيعة الحال يكون مرفوضاً .. لأن الشرك لا يبقي فرصة للتفاهم بين زوجين اختلفت غايتهما .. بين مؤمن يمضي به إيمانه على الجادة .. ومشركة حرمها شركها من عناصر الاستقرار .. وما يترتب على ذلك من فساد الذرية بين يديها .

جاء في تفسير المنار :

(المؤمن والمؤمنة كل منهما عبدالله يطيعه ويخشاه . ولذلك كان خيراً ممن يشرك به فكان في التعبير بالأمة والعبد إشعار بهذه الخيرية بيان ذلك :

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٢!٣٤ .

إنه ليس المراد بالزوجية قضاء الشهوة الحسية فقط . وإنما المراد بها تعاقد الزوجين على المشاركة في شئون الحياة والاتحاد في كل شيء .

وإنما يكون ذلك بكون المرأة محل ثقة الرجل : يأمنها على نفسه وولده ومتاعه . عالماً أن حرصها على ذلك كحرصه . لأن حظها منه كحظه .

وما كان الجمال الذي يروق الطرف ليحقق في المرأة هذا الوصف .

ولكن قد يمنعه التباين في الاعتقاد . الذي يتعذر معه الركون والاتحاد .

والمشاركة ليس لها دين يحرم الخيانة . ويوجب عليها الأمانة . ويأمرها بالخير وينهاها عن الشر . فهي موكولة إلى طبيعتها . وما تربت عليه في عشيرتها . وهو خرافات الوثنية وأوهامها . وأماني الشياطين وأحلامها .

فقد تخون زوجها . وتفسد عقيدة ولدها . فان ظل الرجل على اعجابه بجمالها . كان ذلك عوناً لها على التوغل في ضلالها وإضلالها)[1]

إن الاسلام لا يحرم الانسان من التمتع بالحياة عن طريق إمرأة .. ولكنه يرتفع به إلى مستوى أعلى حتي لا يقف به إعجابه عند مالها أو جمالها ناسياً عقيدتها التي تشكل حياته وحياتها .. وحياة

---

(١) تفسير المنار ط الشعب ! ٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

ذريتها .

والمتعة الحقيقية في صلاح المرأة التي يصلح بها البيت :

يقول ﷺ :

(إن الدنيا متاع .. وخير متاعها المرأة الصالحة)[1] .

وعناصر صلاح المرأة تكمن في حسن أدائها لرسالتها كربة بيت تدير شئونه بالحكمة والتبصر ..

وقد تحدث عنها ﷺ في قوله :

(إن خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش :
أحناه على ولد في صغره . وارعاه على زوج في ذات يده)[2] .

فحنان الأم ـ وهو ما تميزت به نساء قريش ـ يهيء الجو النفسي اللازم لنمو الصبي . ورعاية شئون البيت أمر يعتدل به مزاجه .. فيعتدل تبعاً لذلك مزاج البيت كله .. أى أن تفرغ الزوجة لبيتها يؤتي أطيب الثمرات .. ولا يعوضه مال ولا منصب .. ومن هنا كان تركيز الرسول ﷺ على صفات المرأة الذاتية المراد تزوجها والتي لابد منها للقيام بواجب الحنان .. وحسن التبعل .. بغض النظر عن القشرة البادية من مظاهر الحياة التي لا تشكل عنصراً فعالاً في شخصية الفتاة .. ولا تسهم في حل مشاكل البيت .. ولا تفرز الحنان المطلوب ..

يقول ﷺ :

(تنكح المرأة لأربع :

---

(١) رواه مسلم والنسائي .

(٢) البخاري كتاب النكاح .

لمالها ولحسبها . ولجمالها . ولدينها .

فأظفر بذات الدين تربت يداك)[1] .

فالتدين هو جوهرها الذي سينتقل معها إلى بيت الزوجية .. وعلى أساسه تكون السعادة المنشودة .. وربما احتاج الأمر إلى تحذير من يتغاضي عن هذه الحقيقة تحت ضغط الهوى المتسلط وهذا ما نجده في قوله ﷺ :

(من تزوج إمرأة لعزها لم يزده الله إلاّ ذلاً . ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلاّ دناءة . ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلاّ أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه . بارك الله له فيها وبارك لها فيه)[2]

وما قيمة هذا الزواج الذي يثمر الذل أو الفقر والهوان ؟

لا شك أن تجربة من هذا النوع لها أثرها المباشر على الأسرة كلها بما فيها الذرية التي يصيبها كفل من هذا الوبال .

على أن الاسلام يحيل المسلم إلى التجربة اليومية فهي أصدق أنباء .. بما تحمل من شواهد على صدق نظرة الاسلام .. الذي يحول بين الفراش المندفع إلى النار دون تدبر للعواقب .

هذه التجربة الشاهدة بما قد يجره الجمال الطاغي من عذاب الغيرة والشك المنتهي بالأسرة إلى الانهيار .. وما قد يتأتي من وراء غني الزوجة من دلال بغيض يجرح كبرياء الرجل فلا يستقر على حال من القلق ..

وهو بعض ما يفهم من قوله ﷺ :

---

(١) البخاري كتاب النكاح .

(٢) إبن حبان .

(لا تزوجوا النساء لحسنهن . فعسي حسنهن أن يرديهن . ولا تزوجوهن لأموالهن فعسي أموالهن أن تطغين . ولكن تزوجوهن على الدين .. ولأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل)[1] وليس معني ذلك أن الاسلام يعلن الحرب على المال أو الجمال وهما من خلق الله تعالى ...

لكنه يساعد الانسان ليوسع أفقه فيختار شريكة حياته على نحو يحقق مطالب الحياة كلها .. من غض البصر .. ارواء الغريزة .. صلة الرحم .. لتجيء البركة نتيجة طبيعية ..

أما القصد إلى الحسن فقط .. والمال فقط .. فهو الدنيا التي تتجاهل مطالب الروح .. وتوقع الانسان في فخ العبودية من حيث لا يحتسب ..

وكان يمكنه أن يعيش حراً .. لو تزوج «الحرة» التي تظلل بطلاقتها جو البيت فاذا هو قطعة من الفردوس .. يعيش ناعماً في دنياه نقياً من كل عقد الساعين وراء زهرة سرعان ما تذبل .

وما أصدق قول الرسول ﷺ :

(من أراد أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر)[2] .

وليس أقدر من الحرة على حسن رعايتها لبيتها .. وتربيتها لذرية تجيء صورة لها .. ثم تعوض بهذه الذرية ما فاتها من منصب أو مال .. وجمال .

---

(١) إبن ماجة .

(٢) رواه إبن ماجة .

الجمال ..
من خلال التجربة

في دوامة الاعجاب بالفتاة الجميلة .. وتحت وطأة الحب الذي يعمي ويصم .. لا يرى الخاطب آثار الدماء في معارك الطلاق ..

ولا يسمع صوت النذير يقيد خطاه .. فيندفع وراء زهرة حسناء .. في المنبت السوء ! جاهلاً أو متجاهلاً سوء عقباه .. وموقف كهذا لا يعالج فقط بموعظة من كاتب .. محسوب على الدعوة الاسلامية .. وإنما المفيد هنا :

أن نسوق إليه تجربة حية .. يحكيها شاعر عايش المرأة دارساً .. وعاملاً معها في كل موقع ..

ليتأكد صدق ما قرره الرسول ﷺ حين حذر من توخي الجمال وحده .. (فعسي الجمال أن يرديهن) .

يقول الأستاذ صالح جودت في مجلة حواء :

(الشابة التي رأيتها هذا الأسبوع ، صاحبة وجه من أجمل الوجوه التي رأيتها في حياتي .

وهي فوق هذا ذكية .. وأنيقة .. ومرحة .. وخفيفة الدم ... وذات ثقافة جامعية ..

وهي لم تتجاوز العشرين بكثير وقبل أن تنفرج شفتاها لترويا مأساتها .. وقبل أن تقع عيناي على أناملها ، قلت لها :

ـ أنت مطلقة .. أليس كذلك ؟ قالت لي :

ـ وكيف عرفت .. مع أنني لم أخلع « الدبلة » من يسراى بعد ؟

قلت :

ـ لأن الكثيرات من المطلقات يفضلن أن يحتفظن بالدبلة في أيديهن

إذا كانت من الماس ... لأنها أرقي وأجمل من الخاتم .. كما أن الكثيرات من المطلقات يؤثرن أن يستبقين الدبلة ، إذا كن جميلات ، لكى يتخلصن من مضايقات الرجال السخفاء الذين يعتقدون أن المطلقات أسهل وقوعاً في الفخاخ من الأخريات .

واستطردت أقول لها :

ـ وبعد هذا .. أقول لك أن الجميلات أكثر تعرضاً للشقاء الزوجي ، وللطلاق ، من النساء العاديات ، متوسطات الجمال ، ومن الدميمات أيضاً .

هذه ظاهرة ملحوظة في كل زمان وفي كل مكان .

وقد حاولنا هنا ـ في دار الهلال ـ منذ أكثر من عشر سنوات ، أن نتقصي مصير اللاتي فزن بلقب ملكات الجمال ، بعد بضع سنوات من فوزهن بهذا اللقب ، فوجدنا أنهن أتعس نساء الأرض !

ومنذ عامين أو ثلاثة ، قامت إحدى المجلات الأمريكية بمثل هذه المحاولة على نطاق واسع ، وتتبعت عدداً ضخماً من ملكات الجمال على الشاشة ، وعلى المسرح ، وفي مسابقات « فتاة الغلاف » بالمجلة الكبرى ، وفي المسابقات الدولية لعرش الجمال ، فوجدت أن نسبة الطلاق بينهن تبلغ ثلاثة أمثالها بين النساء العاديات !

وأكثر من ذلك .. تبينت الحقائق الآتية :

ـ أن أكثر من نصفهن تزوجن أكثر من مرة ، ولم يحالفهن التوفيق .

ـ وأن سبعين في المائة من المتزوجات منهن ، غير سعيدات في حياتهن الزوجية .

ـ وأن الكثيرات منهن ، تعرضن لأمراض نفسية قاسية أدت ببعضهن إلى الجنون أو الانتحار .

ـ وأن تسعين في المائة منهن ، بعد إنقضاء عشر سنوات على فوزهن باللقب ، يحيين حياة بعيدة عن الرفاهية ، وتغلب عليهن الكآبة والتشاؤم والخوف !

ـ ونسبة غير قليلة منهن ، جني عليها الجمال ، فلاحقتها الألسنة بالشائعات والأقاويل ولم تتزوج رغم كثرة المعجبين .. لأن المعجبين قلما يتزوجون .. وكما يقول مثلنا البلدي « من كثر خطابها ... بارت » ..

الجمال نعمة ..

ولكنه قد يكون نقمة في نفس الوقت .. لا سيما إذا اقترن بالذكاء والأناقة والمرح والثقافة وخفة الدم .. كالشابة التي حدثتك عنها يا سيدي ، لأن هذه المفاتن مجتمعة لابد أن تشحن النفس الانسانية بشيء من الغرور .

وأنا لا أقول عن هذه الشابة بالذات أنها مغرورة ، فقد تكون إستثناء من القاعدة أو لا تكون ، وقد تكون هذه التجربة الحزينة ، تجربة الزواج التعس والطلاق المرير ، قد كسرت من حدة غرورها .

ولكني أقول إنَّ القاعدة العامة ، هي أن تشحن هذه المفاتن كلها نفس صاحبتها بالغرور ، فتعتقد أنها من طينة غير طينة النساء الأخريات ، وأن الرجل الذي يستحقها لم يخلق بعد ، وأنها حين

تقبل أحد الرجال كزوج ، فانما تقبله من قبيل التنازل والتواضع فهي أحسن منه ، وهي متفضلة عليه !

وزيدها ثناء الرجال عليها ، ونظراتهم إليها في الطريق وفي المجتمع ، شحنة من الغرور كل يوم ..

وتغار النساء الأخريات منها غيرة تكاد تفصلها عن المجتمع ، وتقيم بينهن وبينها حجاباً يحول دون إحساسها الكامل بالمحبة والمودة والصداقة والثقة بالناس .

وتشعر أن عيون الرجال في كل مكان تنظر إليها بنظرات محمومة ، كما ينظر الجائع إلى لحم حمامة بيضاء ، فتزداد إنفصالاً عن المجتمع وخوفاً من الناس ، وسوء ظن بالجميع وتتزوج ..

ولكن الزواج لا يعصمها من نظرات العيون ..

وتلتهب غيرة الزوج من هذه النظرات ، فيسير بها في الطرقات ، ويدخل بها إلى المجتمع والمسرح والسينما ، وهو يتلفت حوله ، ورأسه يدور في حركة لولبية كأنما يريد أن يحجب عنها نظرات الناس أو يضرب من أجلها جميع الناس .

وتتفاقم الكارثة حينما تطبع طبيعتها المرحة إبتسامة في شفتيها أو نظرة حلوة في عينيها ، لا تستطيع أن تغيرهما بيدها ، فيسري إلى ظن زوجها أنها تبتسم لجميع الناس ، أو لواحد منهم بالذات .

ويتابعها زوجها بهذا الاتهام حينما تنظر نظرة بريئة من الشباك ، أو حينما تتحدث إلى أحد أصدقائه ، فتضطرب شياطين الشك في صدره .

وقد لا يتصور هذا الزوج أن زوجته ــ وهي بكل هذه الطاقة

من المفاتن ـ لم يكن لها ماض ، وقد يتضخم هذا التصور في رأسه إذا لمح منها أية حركة بريئة أو غير مقصودة في السينما أو المسرح أو النادي أو على البلاج أو في أي مكان .

وهكذا تثور المواقف العصبية ، مواقف الغيرة الضارية ، بين الزوجين كل يوم وتفسر الزوجة هذه المواقف في أول الأمر على أنها حب شديد من زوجها لها ، ثم لا يلبث هذا التفسير ـ على مر الزمن ـ أن يتحول إلى تفسير آخر ، هو عدم الثقة .

ولا شيء يجرح كرامة المرأة قدر عدم الثقة .

ومن هنا تبدأ جدران البيت في الانهيار ، وتتحطم الحياة الزوجية على صخرة الوهم)[1] .

مثل من هناك

(قبل أن يتقدم الشاب ليطلب يد الفتاة فانه يصر على أن يرى أمها ويتحدث إليها . ويجلس معها ويعرف نوع الحياة التي تحياها الأم .

ومهما بلغت الرابطة العاطفية بين الفتي والفتاة فانه يرى أن لقاءه بحماته ـ قبل الزواج ـ هو العامل الحاسم الذي قد يؤدي به إلى أن يتزوج أو يعدل نهائياً عن الزواج من هذه الفتاة .. بالذات ..

والسبب في ذلك ما أثبتته الاحصائيات والتجارب وأبحاث علماء الاجتماع .

---

(١) صالح جودت . مجلة حواء .

إن مأساة البنت هي أنها تصبح مثل أمها .. بعكس أخيها .

إن الابن يظل إبناً للأسرة حتي يتزوج .. فالأبناء يحمون أنفسهم من تقليد الآباء .. أو أنهم يتمتعون بحياة طبيعية ولذلك فانهم يشقون طريقاً آخر مختلفاً عن الآباء .. أما الفتيات فانهن يقلدن أمهاتهن ويصبحن مثلهن مهما كانت البنت تحب أمها .. تخشاها .. أو حتي تكرهها ..

ولذلك يقال آن البنت قد تمثل إنتصاراً للأم .. وقد تكون ضحية لها .

إذا كانت الأم كثيرة الشكوى فان ابنتها لن تكف يوماً عن إثارة المتاعب للزوج .

وإذا كانت الأم مسيطرة على إبنتها فمعني ذلك أن البنت ستنشب بلا شخصية .. لا يمكن أن تبتعد عن الأم أو عن حصارها النفسي .

وإذا كانت الأم قاسية بلا حنان فان قسوة البنت ستكون متشابهة أو مضاعفة .

أما إذا حرصت الأم على أن تترك الحرية لابنتها وتنمي شخصيتها واستقلالها فان البنت تكون زوجة مثالية .

ولذلك قالوا لى في مكتب الارشاد الزوجي في لندن إنَّ مشكلتهم هذه الأيام مع البنات اللاتي فقدن الأمهات .. فان كل خطيب يسأل ويحقق كيف كانت حماته .. والناس هناك مثل الناس هنا .. يذكرون الأموات بالخير مما يجعل الشبان مترددين..وعجز

مكتب الارشاد الزوجي عن الوصول .. إلى حلول)[1] .

ويهمنا أن نثبت أن ما قررته التجربة الانسانية من أهمية دور الأم .. هو ما سبق إلى تقريره ﷺ .. حين وصي بحسن تربية البنت في الحديث الذي مر بك آنفاً .. وما بينه من فضل ثواب القيام بأمورها .. لأنها ـ بعد قليل ستكون أما .. ثم « حماة » فاذا إستوفت حقها ـ كما يقول الاسلام ـ أصلح الله بها كل بيت تقدم إليه زوجة تجيء صورة أمينة لأمها .

فاظفر بذات الدين

وهي التي تحدث عنها أحمد أمين فقال :

(رحم الله زماناً كان الأب فيه الآمر الناهي ، والحاكم المطلق والملك غير المتوج . ينادي فيتسابق من في البيت إلى ندائه ويشير فاشارته أمر وطاعته غنم ..

تحدثه الزوجة في خفر وحياء ويحدثه الابن في إكبار وإجلال ، من سوء الأدب أن يرفع إليه بصره أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه في رأى أو يجادله في أمر أما البنت فاذا حدثها لف الحياء رأسها وغض الخجل طرفها قليلة الكلام متحفظة الضحك خافضة الصوت ، تتوهم أنها أخطأت في التافه من الأمر فيندي جبينها ويصبغ الخجل وجهها ، وإذا جاء الحديث عن الزواج فالى أمها الحديث لا إلى أبيها بالتلويح والتلميح لا بالتصريح ..

---

(١) محسن محمد . الجمهورية ١٩٨١/١/٣١ .

والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض وفيما يفعل ، وما لا يفعل .)[1]

والشيخ عبدالعزيز البشرى :

كانت البنت من أوساط الناس إذا تزوجت لا تكاد تجشم الزوج أو أولياءه شيئاً ، فطعامها من طعام أهل الدار ، وكسوتها إزاران ورداءان في العام ، وما حاجتها إلى حذاء وهي حلس خدرها طوال الأيام ؟ إذا في الكوث (الشبشب) على رأى أستاذنا العلامة الشيخ مهدي خليل ، غني وكفاية .

ثم إنّها توفر على الأحماء أجور الخدم وسائر تكاليفهم بما تقوم به من العجن والخبز ، والطهي ، وغسل الثياب ، وكنس الأرض ، ونفض الأثاث ، وتقديم القهوة للزائرات ، وصنعها للزائرين وخدمة الطفل الخ ..

والآن لا تحسن البنت الحضرية شيئاً من هذا ، وقد لا تعرفه ، وإن عرفته وأحسنته لا ترضي بأن تعالجه انفة وحفظاً للكرامة ، ودعنا من الأنفة والكرامة ، وحدثني بربك متي تضطلع البنت أو الزوجة الحضرية بهذا أو ببضعه ، ولابد لها كل يوم من غشيان السينما أو غيرها من دور التسلية والترويح ؟ ولابد لمن يسهر الليل من أن ينام صدراً من النهار . ولقد يتصرم سائره في الاختلاف إلى الخياطة ، ومتاجر الثياب والزينة ، وزيارة الأصدقاء والأتراب ،

(١) أحمد أمين .

والتفرج في المتنزهات في صحبة الزوج أو بعض ذوي الأرحام ، وإستقبال الضيفان . وناهيك بما يستهلك من الوقت ، بعض النهار ومهبط الليل ، في التجمل والتزين ، وتصفيف الشعر طوعاً لآخر بدع « مودة » سواء جرى ذلك في البيت أو في دكان الحلاق ، ولا بد أن يكون لقراءة الروايات من مساحة اليوم حظ غير قليل .)[1]

زواج الكتـابية

ولا يتخلى الاسلام عن شرطه وهو يبيح زواج الكتابية .. لأن زواجها مقيد بوصف الأحصان المانع من الانحراف .

والتدين على نحو ما ـ وإن كان كفراً بالقرآن وبرسالة الرسول ـ قد يعصم من الزيغ .

والأصل في ذلك قوله تعالى :

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]

ونلاحظ أن إباحة الكتابية هنا مسبوق بحل المحصنات المؤمنات .. لأنهن الأصل في هذا الباب .. والترغيب في زواجهن موصول .

---

(١) الوعي الاسلامي مارس ١٩٧٢م .
(٢) المائدة ٥ .

وإذا كان الاسلام قد إشترط العفة في الزوجة المؤمنة حرة أو أمة .. فإن الأمر بالنسبة للكتابية ادخل في الاحتياط .. لأنها إذا لم تكن عفيفة وهي مع ذلك غير مسلمة . صارت بانحرافها على خطر عظيم .

جاء في المنار :

(ويحتمل أن يكون أراد بالحرة : العفيفة .. كما قال مجاهد في الرواية الأخرى عنه . وهو قول الجمهور هاهنا . وهو الأشبه : لئلا يجتمع فيها ان تكون ذميمة وهي مع ذلك غير عفيفة فيفسد حالها بالكلية . ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل : (حشفا وسوء كيله) « مثل يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين » .

والظاهر من الآية : أن المراد بالمحصنات : العفيفات عن الزنا كما قال في الآية الأخرى ﴿**محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان**﴾)[1]

وقد كان عبدالله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية . ويقول : لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول : إنَّ ربها عيسى . وقد قال الله تعالى :

﴿**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**﴾

فالتي تقول إنَّ ربها عيسى . أو أن عيسى إبن الله . قد حصلت وصف الشرك ودخلت في مضمون الآية الكريمة .

وعلى هذا الأساس بني ابن عمر رضي الله عنه قوله .

---

(١) إبن كثير في تفسيره للآية الكريمة .

(٨) [illegible] ١٠٧٨ .
(٩) [illegible] .

[illegible]

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

والفرق الجوهري العظيم بينهما هو الايمان بنبوة محمد ﷺ ومزاياها من التوحيد والتعبد والتهذيب) .

وهذا القول في النفس منه شيء :

أولاً : فلهذا التناقض البادي بين قوله (ليس بينهما وبين المؤمن كبير مباينة) وقوله : (والفرق الجوهري العظيم بينهما هو الايمان بنبوة النبي ﷺ ومزاياها من التوحيد) .

وإذا فرق الخلاف بين إثنين فأقام أحدهما حياته على تصديق الرسول .. والآخر على عدم الايمان به .. فلم تعد المباينة قليلة .. لكن مسافة الخلاف هنا كبيرة جداً .

ثانياً : يجب التسليم ببعد الشقة بين الاثنين لكننا اشترطنا الاحصان مع فقد الايمان تمكيناً للأسرة من الترابط إلى حد ما ..

ولهذا التسليم أثره في وضع هذه العلاقة في إطارها الصحيح حتي لا تزل قدم بعد ثبوتها .. وحتي لا تفعل الأيام فعلها في تناسي هذا الخلاف .. وما قد يترتب على ذلك من تهاون يضر بالناشئة .

وقديماً حاول بعض نساء أهل الكتاب إستغلال هذه الآية الكريمة لصالح دينهن على ما يقول القرطبي في تفسيره للآية الكريمة : (لما قال تعالى : **﴿والمحصنات من الذين أوتو الكتاب من قبلكم﴾** ، قال نساء أهل الكتاب :

لو لا أن الله تعالى رضي ديننا لم يبح لكم نكاحنا .. فنزلت : **﴿ومن يكفر بالايمان﴾** أي بما أنزل على محمد) .

ويجب أن نذكر دائماً أن هناك خلافاً في الدين .. ونحن

الآية تؤكد ضرورة الحذر في إنشاء مثل هذه العلاقة :

فقد كان المظنون أن تجيء إباحة الكتابية عقب إباحة طعام أهل الكتاب .. لكن الآية تقدم ذكر « المحصنات من المؤمنات » على المحصنات من أهل الكتاب تأصيلاً للزواج من المسلمة كقاعدة في هذا الباب . يعني أن الزواج من الكتابية أمر عارض لا يتم إلاّ في ظروف خاصة تفرض نفسها .. كما أشرنا إلى ذلك آنفاً .

زواج الأقارب

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ..... الآية﴾ [1]

ونسائل الواقع فيؤكد صدق نظرة الاسلام في تحريمه هذه الأنواع . كما ذكرتها الآية الكريمة .. حيث تفتر الرغبة الجنسية في حالة الزواج بالقريبة .. وما قد يستتبعه من ذرية ضعيفة ..

يقول الغزالي معلـلاً ذلك (فان ذلك ــ زواج القريبة ــ يقلل الشهوة .. إن الشهوة إنما تنبع ــ بقوة الاحساس بالنظر واللمس . وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد . فأما المعهود الذي دام النظر إليه مده . فانه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به . ولا تنبعث به الشهوة)[2] .

---

(١) النساء ٢٣ .

(٢) إحياء علوم الدين ط الشعب ج ٤ ص ٧١٨-٧١٩

وفي هذا يروي طلحة قال :

(سمعت النبي ﷺ : الناكح في قومه كالمعشب في داره)[١] .

ويكشف العقاد عن حكمة أخرى مما إستهدفته الشريعة من تحريم هذه الأنواع . وذلك في قوله :

(فالغرض من شمول هؤلاء النساء جميعاً بالتحريم ظاهر : وهو زيادة ثروة الانسان من العطف والمودة . وتعويده أن يعرف ألواناً من الشعور غير شعور الذكور والاناث في عالم الحيوان . وكل هؤلاء القريبات أو أشباه القريبات . قد جعلت المودة بينهن وبين أقربائهن من الرجال .

فلا موجب لخلطها بالمودة التي تنشأ من العلاقة الجنسية . ولا لتعريضها للجفاء الذي يعرض أحياناً بين الأزواج والزوجات)[٢] .

وقد كان العربي منطقياً مع نفسه ـ وهو الذي يدخر ولده لغده ـ حين تجنب الزواج من قريبته رغبة منه في ولد صالح .

يقول الحسن البصري رضي الله عنه :

(وقد كانوا ـ العرب ـ يختارون لمثل هذه الحال نكاح البعداء الأجانب . ويرون أن ذلك أنجب للولد . وأبهى للخلقة . ويتجنبون نكاح الأهل والأقارب . ويرونه مضراً بالولد)[٣] .

---

(١) مجمع الزوائد ٤ كتاب النكاح ـ رواه الطبراني وفيه أيوب بن سليان ولم أجد من ذكره هو ولا أباه وبقية رجاله ثقات .

(٢) الفلسفة القرآنية ٦٠ـ٦١ .

(٣) أدب الدنيا والدين ١٥٣ .

ثم يروى عن عمر بن الخطاب قوله : (يا بني السائب : قد ضويتم «ضعفتم» فانكحوا في الغرائب)

وقال الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة   مخافة أن يضوى على سليلها)[1]

جاء في المصباح المنير :

(كانت العرب تزعم أن الولد يجيء من القريبة ضاوياً لكثرة الحياء من الزوجين. لكنه يجيء على طبع قومه من الكرم)

فاذا كان زواج القريبة لا يؤثر في وراثة خلق الكرم.. فان الناحية البدنية لها اعتبارها أيضاً.

وهو الأمر الذي يحذر منه بعض الباحثين في قوله :

(كلما كانت الزوجة ذات قرابة أوثق ظهر أثر الوراثة أكثر)[2]

والسبب في ذلك أن جميع الصفات والاستعدادات السيئة في الأصول القريبة تنتقل إلى الذرية والأعقاب. وهذه الظاهرة قد تشاهد بشكل ملحوظ في أبناء الأسر والقبائل المتعصبة الذين لا يتزوجون من غيرهم ولا يزوجون.

ويجب أن يلاحظ أيضاً :

أن الابتعاد ليس قاعدة مطلقة : إذ قد تكون الأسرة الأخرى أكثر ضعفاً في القدرات العقلية والجسيمة منها.

وفي هذه الحالة : فلا شك أن الذرية تأتي أضعف من ذرية الأسرة نفسها.

---

(١) أدب الدنيا والدين/١٥٣.

(٢) البيت الاسلامي لمقداد يالجن ٤٣-٤٤.

ولهذا . عند الابتعاد عن الأسرة ينبغي أن تختار الأسرة الأقوى منها في هذه القدرات حتي تكون الذرية الجديدة أحسن من ذرية الأسرة نفسها .

وكلما كان الطرفان أكثر قدرة . واصح جسماً . أدى ذلك إلى ذرية أكثر قدرة وأصح جسماً) .

والاسلام كذلك لا يجعل زواج القريبة مكروهاً على الاطلاق ..

بل إنه أحياناً يشجع هذا اللون من الزواج إذا جاء صلة لرحم . أو صيانة لعرض .. لأن الأمر حينئذ يكون استجابة لأمر الله سبحانه بصلة الرحم وصيانة العرض .. وفي تلك الاستجابة بركة تظهر آثارها البعيدة في حياة الأسرة .. وفي مقدمتها الذرية .. كما أشرنا إلى ذلك تعقيباً على حديث ..

من تزوج امرأة لعزها ... الحديث ..

ولا يعتبر ذلك تخلياً عن شرط الاسلام في تكوين الأسرة الصالحة .. بقدر ما هو إبقاء على علاقة يجب أن تصان .. وعهود ينبغي أن تحفظ ..

فلا يعتبر تشجيع الزواج من البعيدة زهداً في القريبة .. إذ لا يعقل أن يدعو الاسلام إلى وحدة القلوب وتآلف المشاعر .. ثم يفتح باباً إلى الزهد في الأقرباء فيهدم ما بناه .. ويخلخل ما بين الأقرباء من روابط الدم ..

واذن فلسنا مع المتحدثين فيما يقررونه من أحكام مطلقة في هذاالباب .. فالقرب سبب عادي لضعف الذرية .. وليس هو بمؤدٍ

حتماً إلى هذا الضعف .. وفي تجاربنا لمحات إسلامية تؤكد كيف تجيء النتائج على خلاف توحي به المقدمات .. وأن الأمر أولاً وأخيراً بيد القدرة الالهية التي أقامت الكون على سنن من صنع الله وحده .. وليس للبشر أمامها إلاّ التسليم مع تلمس الحكمة .. وبذل الوسع .. والنتيجة بعد ذلك على الله سبحانه يقول الشاعر :

كم عالم عالم أعـيت مـذاهبه وجـاهل جـاهل تلقاه مرزوقاً
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

وإذا كان الشاعر هنا يكشف عن حيرة عالم قادته إلى الزندقة .. فان هناك حكماء آخرين .. أبصروا في ضوء القرآن مواقع أقدامهم فقادتهم إلى تلمس حكمة الله في عباده .. فالتقوا بها :

يقول أحدهم :

كم جاهل يملك دوراً وقرى وعـالم يسكن بيتاً بالكـرى
لما قـرأنا قوله سبحانه نحن قسمنا بينهم .. زال المرا

وعلى أثره إتضحت الحكمة لآخرين .. فصاغوها شعراً :

ومن ذلك قول الشاعر :

ومن الدليل على القضاء وحكمه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ومن هذا الوادي أيضاً قول الشاعر :

كم من قوي .. قوي في تقـلبه
مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف .. ضعيف في تقبله
كأنه من خـليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الاله له
في الخلق سر خفي ليس ينكشف

وما أصدق قول الشاعر :

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه
ومن عجب جادت يد الشوك بالورد
وقد يخبث الفرع الذي جاد أصله
ليظهر سر الله في العكس والطرد

فلو فهم الحكمة الشاعر الأول كهؤلاء العباقرة لانقلب صديقاً لازنديقاً .

فأنت ترى مما تقدم أن كل شيء يجري بقدر الله .. وأن الزواج من القريبة ـ كحظوظ الدنيا ليست له قاعدة مطردة .. بل إنه مردود لمشيئته سبحانه وحدها .. التي تخلف ظنون الناس في كثير من الأحيان فتجيء ثمرة هذا الزواج ذرية طيبة بعضها من بعض .. مع التسليم إبتداء بأن البعد في الزواج مرغوب فيه كما قلنا ..

والمعني الجدير بالتأمل هنا .. أن تشريع الله سبحانه وتعالى وما فيه من حكم .. يلفت الأنظار إلى قدرته سبحانه .. ويجرد الناس من حولهم وطولهم ليربطوا به تعالى وحده .. فتقوى فيهم العقيدة . ويرسخ الايمان .

هذا من ناحية المرأة .

أما فيما يتعلق بالرجل :

فلا بد من خضوعه لشروط الاسلام في بناء البيوت . وأن يكون بأخلاقه محققاً لروح الاسلام في حرصه على سلامة الطرفين

كليهما . لتتم بصلاحهما سعادة البيت .

يقول الامام الغزالي :

(ويجب على الولي أيضاً أن يراعى خصال الزوج . ولينظر لكريمته . فلا يزوجها من ساء خلقه أو خلقة . أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها . أو كان لا يكافئها في نسبها .

قال عليه السلام :

النكاح رق . فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)[1] .

بل إنَّ ضعف المرأة يفرض على الولى دقة خاصة في الاختيار . وفي ذلك يقول الغزالي أيضاً :

(والاحتياط في حقها أهم . لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها . والزوج قادر على الطلاق بكل حال . ومهما زوج إبنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله . لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار) .

وفي مجال التطبيق .. نرى في تاريخنا الاسلامي مثلاً حية تجعل من الأخلاق الكريمة وحدها عماد الأمر كله .. ويبرز من خلال هذه الأمثال حرص الولي على توخي صلاح الخاطب المحقق لسعادة ابنته :

(روى أن بلالاً وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم . فقيل لهما . من أنتما . فقال بلال :

---

(١) الإحياء ط الشعب ج ٧١٩/٤ . وحديث : النكاح رق . رواه أبوعمر التوقاني في معاشرة الأهلبة موقوفاً على عائشة وأسماء إبنتي أبي بكر . قال البيهقي : وروى ذلك مرفوعاً والموقوف أصح .

أنا بلال .. وهذا أخي صهيب .

كنا ضالين فهدانا الله . وكنا مملوكين فأعتقنا الله . وكنا عائلين فأغنانا الله . فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسبحان الله . فقالوا : بل تزوجان والحمد لله . فقال صهيب لبلال :

لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال أسكت .. فقد صدقت .. فأنكحك الصدق)[٢] .

فأنت ترى شابين مسلمين .. تحركت في نفسيهما رغبة في الزواج .. فقصدا بيتاً غلب على ظنهما وجود طلبتهما فيه ..

ولم يزد الولي على السؤال عن الخاطب .. من هو .. مكتفياً بجواب يحدد الشخصية .. ويتم به التعريف .. بعيداً عن كل إضافة تتعلق بالملك .. أو النسب .. أو الوظيفة .. لأنها أمور .. لم تكن تشغل بال الصحابة حينئذ أولاً ..

وثانياً : فهي أمور ثانوية لا تشكل نسيجاً في علاقة زوجية يراد لها أن تقام على عنصر التدين والخلق المستقيم .. ليمكن بعد ذلك أن تدوم ..

وانبرى بلال .. الشاب الخاطب .. يبين ملامح شخصيته مع صاحبه .. في صدق وأمانة .. ومن خلال تعريفه بنفسه .: تبرز شخصية شاب صالح يضع بين يدي والد الفتاة خلاصة حياته من ألفها إلى يائها ..

---

(١) المرجع السابق ج ٧١٤/٤ .

لقد كان ـ وصاحبه كذلك ـ ضالاً .. مملوكاً .. فقيراً .. ولكن الله تعالى مَنَّ عليه بالهداية .. والحرية .. والغني .. وهي قيم صالحة .. وثروة يعتز بها .. ويجب أن يعتز بها كل راغب في سعادة ابنته .. حريص على مستقبلها .. بحيث تتوارى أمامها شهوات المال والوضع الاجتماعي ..

ويوافق الولى على الزواج ..

ويتم عقد النكاح بكلمات معدودة .. بالايجاب والقبول .. ثم تبدأ بهما قصة حياة مباركة .. على الزوجين .. والوالدين جميعاً : إنها بركة على زوجين التقيا على بساطة الاسلام .. البعيدة عن مظاهر الدنيا ..

ثم على والد دفع بكريمته إلى يد أمينة تصونها أبداً .. في السراء والضراء .. فوفر على نفسه مشاكل .. كان من الممكن أن تعكر صفو حياته لو أنه فتن بالدنيا .. ورد الخاطب الصالح . تطلعاً إلى آخر يملك مالاً أو منصباً .. بلا خلق .

وياله من زواج ناجح لو أحسن الناس الفهم وأحسنوا التطبيق .. إن بلالاً يحرص على أن يكشف من حياته نقط الضعف فيها ... الضلال .. الرق .. الفقر ..

وكان من الممكن أن يطوي هذه المعاني تملقاً لرب البيت .. وإرضاء لنفس يَفِرُّ بها من العيب .. ليظهر في عيون الناس بريئاً من كل عيب ..

بيد أنه يقول الحق .. في محاولة لبناء البيت على الصدق الذي لا بد منه في بناء البيوت .. لينعكس منه بعد ذلك ظل على ذرية

وهذا سر سعادة هذه البيوت .

بيوت يجود فيها الأهل .. ولا يجد الزوج سوى برد الراحة والانس يرف حوله .. وأين هذا مما يحدث اليوم؟

يتقدم الشاب .. وزاده صلاحه ونجاحه ..

ويغالي أهل الفتاة في طلب المهر حباً في الظهور الذي يقصم الظهور .. وتحت وطأة عواطف المراهقة .. يتم الزواج .. لتبدأ المشاكل التي زرعها الآباء الحريصون على بناتهم حرص الدبة على صاحبها !! وتنوء الكواهل بالديون التي أنفقت في مظاهر تسر الناظرين فقط .. لكنها اليوم لا تحقق سعادة ولا تجانساً بين زوجين أثقلتهما الهموم ــ فلم يعد متسع للاحساس بنعمة الزواج .. وتفيض المشاكل عن طاقة الزوجين لينصب على الآباء كفل منها .. يكون نوعاً من عقاب الله سبحانه .. لأنهم تنكبوا طريقة .. فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا .. وناهيك .. وناهيك بمصير يضيع فيه المال .. ويشغل البال !

ومن المؤسف حقاً أن بعض المتعلقين يجوسون خلال الدول مرة أو مرتين لاستيراد أحدث الأثاث لبناتهم .. بناتهم اللاتي يتركونهن في سن خطرة تحتاج إلى الرعاية أكثر من حاجتها إلى الأثاثات !!

تحتاج إلى « الصلاة » أكثر من حاجتها إلي « الصلات » !

ولم يكن الآباء المخلصون قديماً يتنافسون في ذلك ..

وكان شغلهم الشاغل أن يصوغوا من تجربتهم حكماً بالغة يهدونها لبناتهم وأبنائهم نبراساً يضيء لهم دروب الحياة ..

وما كانوا يبحثون عن الأثاث .. بأشكاله وألوانه .. فماذا تغني

المادة إذا خلفت من ورائك بنتا لا ترعى وداً .. ولا تحفظ عهداً ..

وإنما كانوا يبحثون عن الفتاة المؤمنة المباركة .. وتلك كانت وصاتهم لأولادهم .. أن يحسنوا إختيار الزوجة الصالحة .. التي تساعدهم على صون ثروة الفضائل التي عانوا في تزويدهم بها في حياتهم الأولى .

ونقرأ في ذلك هذه الوصية الذهبية من والد لولده .. نضعها تحت سمع الذين يتلفتون يمنة ويسرة مقلدين ..

لعلهم يتلفتون دوماً إلى تراثهم .. يستلهمونه الرشاد :

قال الخطاب بن المعلى المخزومي لابنه وهو يعظه :

(يا بني : إن زوجة الرجل سكنه . ولا عيش له مع خلافها . فاذا هممت بنكاح إمرأة . فسل عن أهلها فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .. وأعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف . فتوق منهن كل ذات بذاء[1] مجبولة على الأذى : فمنهن المعجبة بنفسها . المزرية ببعلها[2] إن أكرمها رأته لفضلها عليه . لا تشكر على جميل . ولاترضي منه بقليل . لسانها عليه سيف صقيل . . قد كشفت القحة[3] ستر الحياء عن وجهها . فلا تستحي من أعوارها[4] ولا تستحي من جارها . كلبة هرّارة[5] مهارشة

---

(١) ذات البذاء : السليطة اللسان .
(٢) المزرية ببعلها : العائبة لزوجها .
(٣) القحة : قلة الحياء .
(٤) أعور الانسان : أتى بالعوراء في منطقه . وهي الكلام القبيح .
(٥) هرارة : من الهرير وهو صوت يخرج من صدر الكلب دون نباح .

عقّارة[1] . فوجه زوجها مكلوم . وعرضه مشتوم . ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا . ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين . حجابه مهتوك . وستره منشور . وخيره مدفوق . ويصبح كئيباً . ويمسي عاتباً . شرابه مر . وطعامه غيظ . وولده ضياع . وبيته مستهلك . وثوبه وسخ . ورأسه شعث . إن ضحك فواهن . وإن تكلم فتكاره . نهاره ليل . وليله ويل ..

ومنهن شفشليق شعشع سلفع . ذات سم نقع وإبراق واختلاق .[2] تهب مع الرياح . وتطير مع كل ذي جناح إن قال : لا . قالت : نعم . وإن قال : نعم . قالت : لا .

مولدة لمخازيه . محتقرة لما في يديه . تضرب له الأمثال . وتقصر به دون الرجال . وتنقله من حال إلى حال . حتي قلى بيته . وملّ ولده . وغث عيشه[3] .

ومنهن الورهاء[4] الحمقاء . ذات الدّل في غير موضعها . الماضغة للسانها . الآخذة في غير شأنها . قد قنعت بحبه . ورضيت بكسبه . تأكل كالحمار الراتع . وتنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت . ولم ينكس لها بيت . طعامها بائت . وإناؤها وضر[5]

---

(١) المهارشة : التي تهيج الشر . والعقارة : التي تعقر غيرها . أى تجرحه .

(٢) الشفشليق كزنجبيل : العجوز المسترخية ـ والشعشع كجعفر : الطويل . والسفلع كجعفر : الصخابة البذيئة السيئة الخلق كالسلفعة . والسم المنقع : المذاب المهيأ . والبراق : التهديد .

(٣) قلاه يقليه ويقلاه قلي : كرهه غاية الكراهة ـ غث عيشه : صار غثاً لا خير فيه .

(٤) الحمقاء .

(٥) فيه وسخ الدسم وغيره .

وعجينها حامض . وماؤها فاتر . ومتاعها مزروع [1] وماعونها ممنوع . وخادمها مضروب . وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود . المباركة المولود . المأمونة على عيبها . المحبوبة في جيرانها . المحمودة في سرها وإعلانها . الكريمة التبعل [2] الكثيرة التفضل . الخافضة صوتاً . النظيفة بيتاً . خادمها مسمّن وابنها مزيّن . وخيرها دائم . وزوجها ناعم . مرموقة مألوفة . وبالعفاف والخيرات موصوفة) [3] .

---

(1) مطروح .
(2) رعاية الزوج .
(3) « روضة العقلاء لأبي حاتم البستي ١٧٨ ـ ١٧٩ » .

مع الناشئ في مهده

١ ـ الوليد

٢ ـ الرضاعة

٣ ـ الحضانة

٤ ـ عمل المرأة



تمـــهيد

الرغبة في الولد

طبيعة الانســان

الرغبة في الولد .. والشوق إليه . فطرة فطر الله الخلق عليها .. يبقي بها النوع .. ويمتد بها العمر..

ويكشف القرآن الكريم عن هذه النزعة الانسانية الرامية إلى ولد .. يحقق هذه النتيجة بشقيها ..

ولن يحقق ذلك في دنيا الواقع إلاّ إذا جاء صالحاً مصلحاً .. وهو الأمر الذي توخاه الآباء الصالحون .. حين تعلقت منهم الهمم بالذرية بوصف الصلاح . والبركة .. بغض النظر عن الذكورة والأنوثة ..

يقول سبحانه :

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِن وَرَآئِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (1)

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (2)

ويقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (3)

---

(1) مريم ٥ : ٦ .

(2) آل عمران ٣٨ .

(3) الصافات ١٠٠ : ١٠١ .

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ (١)
﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (٢)

وعلى هذا النهج كانت دعوة الصالحين :

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٣)

ومعنى ذلك :

أن بقاء النوع .. وامتداد العمر .. لن تكون لهما قيمة إلاّ بذرية تحمل في كيانها كلمة التوحيد .. رسالة تبلغها . وتدافع عنها .

فتنة الولـــد

والولد بهذا المفهوم نعمة تضاف إلى نعم أخرى يتقلب فيها العبد .. ولا بد أن تذكر فتشكر ..

ومن أجل ذلك يركز الاسلام على علاقة الوالدين بولدهما .. لتظل على معنى الاعتدال .. فلا يشتط بها الحب لتورد الوالد موارد الهلاك ..

ولا تبرد كما هو الحال في دول لا تدين بالاسلام .. تتقطع فيها أسباب المودة إلى حد قد يوصي فيه الوالد بثروته لقط أو كلب !!

يقول الله تعالى :

---

(١) إبراهيم ٤٠ .
(٢) البقرة ١٢٨ .
(٣) الفرقان ٧٤ .

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [1] .

والفتنة المحنة والابتلاء . والجمع فتن . وأصل الفتنة من قوله :

فتنت الذهب والفضة . إذا أحرقته بالنار لتبين الجيد من الرديء [2]

وتكون الفتنة في الخير والشر على سواء ..

يقول سبحانه :

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [3]

إن الولد نعمة من الله تعالى .. فهو من فتنة الخير التي يمتحن بها العبد . ليرى : هل سيطغيه الفرح بها فينسي واجب الشكر عليها ؟ تربية وإعداداً ؟

أم سيقف بحبه لهم مواقف العدل والاصلاح ؟

يقول إبن كثير في تفسيره للآية الكريمة :

وقوله تعالى **﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** ، أي : إختبار وامتحان لكم . إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها ؟

أو تشتغلون بها عنه . وتعتاضون بها منه ؟)

وقد أشار ﷺ إلى صعوبة هذا الامتحان . وما قد يصيب الوالد بسبب ولده من رذائل البخل والجبن .

---

(١) الأنفال ٢٨ .
(٢) المصباح المنير .
(٣) الأنبياء ٣٥ .

(٨) [illegible] ٧٠ : ١٧ .
(١) [illegible]

[illegible]

قال رسول الله ﷺ :

ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث . إلاّ كانوا له حصناً من النار . فقيل يا رسول الله : فان كانا اثنين ؟ قال : وإن كانا إثنين فقال أبوذر : يا رسول الله : لم أقدم إلاّ إثنين . فقال : وإن كانا إثنين)[1]

وفي قصة إبراهيم عليه السلام مثال يبين كيف خلص قلبه لله بعد إجتيازه امتحاناً عسيراً تعرض فيه لذبح ولده ليبقي له إرتباطه الوثيق بالباقيات الصالحات كما أمره ربه سبحانه . فالولد زينة .. ولكن محبة الله والتضحية في سبيله أربي في الميزان من الولد وإن كان فلذة الكبد .

ولو عاش كل والد من أجل ولده فقط .. لتوقف سير الحياة .. وتهدم بنيانها .. يقول تعالى :

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا . والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ أملا ﴾[2]

يقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة :

(وقوله : **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾** كقوله : **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .. ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾** .. وقال تعالى :

---

(١) مسند الامام أحمد ج ٣٧٥١ .

(٢) الكهف ٤٦ .

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ . أى : الاقبال عليه والتفرغ لعبادته . خير لكم من الاشتغال بهم . والجمع لهم . والشفقة المفرطة عليهم .... والباقيات الصالحات التي تبقي لأهلها في الجنة مادامت السموات والأرض .

ومنها بطبيعة الحال : الولد الصالح ، وهذه الباقيات الصالحات أنفع للانسان من مجرد الاشتغال بالأولاد والتكاثر بهم . وإذا كان للولد من قيمة .. فيقدر ما يكون صلاحه ..

وحين إعتز اليهود بالمال والولد وظنوا أنهم بمفازة من العذاب لذلك قالوا :

﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (١) .

وهذا تصور خاطىء رده القرآن الكريم في وجوه دعاته في كثير من آياته :

يقول سبحانه :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (٢)

وكان من الحكمة لفت أنظار المؤمنين إلى فساد هذا الاتجاه وما قد يجره على أصحابه من عذاب وإن بدأ للعين المجردة زينة تغرى النفوس :

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا

---

(١) سبأ ٣٥ .
(٢) آل عمران ١٠ .

فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهم وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[1]

ثم يضع علاقة الوالد بولده في إطارها الصحيح على ركيزة من الايمان والعمل الصالح .. وذلك في قوله سبحانه وتعالى :

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلاّ من آمن وعمل صالحاً﴾[2] وبذلك ينتي هذه العلاقة من شوائب الفخر والانانية ليكون الولد قرة عين لوالده في الايمان . وحتي تحتفظ هذه الصلة بنقائها . يحذر القرآن الكريم من خطر الانحراف بها عن خطها المستقيم .

وذلك في قوله تعالى :

﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ .. الآية﴾[3] .

قال ابن عباس :

نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي . شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده . فنزلت ...﴾[4]

ثم يقول الشربيني أيضاً رواية عن الطبري :

(كان ذا أهل وولد . وكان إذا أراد الغزو بكوه ورققوه . وقالوا : إلى من تدعنا . فيرق فيقيم . فنزلت هذه الآية إلى آخر السورة) .

---

(١) التوبة ٥٥ .

(٢) سبأ ٣٧ .

(٣) التغابن ١٤ .

(٤) الخطيب الشربيني .

فانظر كيف أوشكت محبة الولد أن تكون فتنة تؤدي بصاحبها .. الأمر الذي عالجه الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .. فيما رسمته هذه الآية حين أمرت بالحذر أولاً من طاعتهم والنزول على هواهم . وإذا صارت الفتنة واقعاً .. فالعفو أصلح لكم ولهم . بأن توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم . بعدم العقاب عليها .

فانه لا فائدة في ذلك . فان من طبع على شيء لا يرجع عنه . وإنما النافع الحذر الذي أرشد إليه تعالى لئلا يكون سبباً في الذم المنهى عنه .

والخطوة التالية هي : الصفح .

أى : الاعراض عن المقابلة باللسان لوماً وتثريباً . فاذا تمت الخطوة الأخيرة بالغفران فسترتم ذنوبهم ستراً شاملاً . كان ذلك أدعى إلى إصلاح حالكم ونجاح هذه التربية في إصلاح اولادكم . فالله تعالى « غفور » أى بالغ المحو لأعيان الذنوب وآثارها جزاء لكم على غفرانكم لهم . وهو جدير بأن يصلحهم لكم . بسبب غفرانكم)[1] .

وإذن .. فالتعامل مع الولد بقانون العدل يحقق مصلحة الطرفين معاً :

فقد يكون من أسباب عداوة الولد لأبيه . أن يرخي له الأب من حبال مودته حتي ينسيه ذكر ربه..

وفي هذا يقول أبو السعود مفسراً تلك العداوة :

---

(١) الخطيب الشربيني .

(يشغلونكم عن طاعة الله تعالى) .

ومتي شغله عن ذكر ربه وطاعته فقد خسر خسراناً مبينا .

وفي ذلك يقول سبحانه :

﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾[1] .

وعلى هذا الأساس ـ أساس الايمان والعمل الصالح ـ قامت علاقة الوالد بولده ... وهو بعينه أساس صلة الولد بأبيه ..

حتي إذا تنكب الوالد طريق الحق .. فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]

إن حق الوالد في طاعة ولده يسقط في هذه الحال .. وتبقي له فقط بقية من الود يصله بها في حدود ما رسم الاسلام . من بر ومودة لانسان كان يوماً ما سبباً في وجوده . ويبقي ولاؤه الكامل .. لأنصار الحق والداعين إلى الله . يتلقى عنهم . ويتواصى معهم بالحق و بالصبر .

---

(١) المنافقون ٩ .

(٢) لقمان ١٤ : ١٥

مثـــال :

ولقد كان المسلمون عند حسن الظن بهم . فآثروا الله ورسوله على كل علاقة تربطهم بأهلهم على ما كان لهذه العلاقة من قوة في نفوسهم قبل الاسلام .

وفي قصة عبدالله ابن أبي شاهد على مانقول :

(لما أراد عبدالله ـ أبوه ـ أن يدخل المدينة إعترضه إبنة « حباب » وهو عبد الله بن عبد الله غيّر رسول الله ﷺ اسمه وقال إنَّ « حبابا » إسم شيطان . وكان مخلصا وقال لأبيه :

وراءك .. والله لا تدخلها حتي تقول : رسول الله الأعز وأنا الأذل)[1]

(وروى أنه قال له : لئن لم تقر بالعزة لأضربن عنقك . ويحك . أفاعل أنت . قال : نعم . فلما رأى منه الجد قال :

أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فقال رسول الله لابنه :

جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً)[2]

وقد أجمل الشربيني في تفسيره للآية الكريمة صوراً من هذا الولاء للحق فقال :

(مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير .. كما قتل عمر خاله العاصي وهشام بن المغيرة يوم بدر: . وعلى وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة)

---

(١) الكشاف .

(٢) الكشاف . الموضع السابق .

ونهى الوالد عن الاسراف.. وأمر الولد بالاحسان ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] من شأنه أن يقف بعلاقتهما عند حد الاعتدال.. الذي تسلم به النفوس من الزيغ .ويبقى الحق محور النشاط . ومناط الأمل .

وهذا الفساد الذي وقي الله الأمة منه بالاسلام.. هو ما تورطت فيه الأمم الحديثة حين تنكبت طريق الحق.. فذاقت وبال أمرها . وكان عاقبة أمرها خسراً.. وبالذات في مجال الأسرة التي باتت تندب حظها.. وصارت علاقة الولد بوالده آلية لا تغذيها عواطف حسية.. ولا يشد من أزرها ضمير صاح .. وتلك هي الثمرة المرة للحياة المادية هناك..

إن المجتمع الذي يكون في أساسه فنياً آلياً.. لا يكون سلوك الابن فيه نحو أبيه ذا قيمة اجتماعية كبرى ـ ما دام أمثال هؤلاء الأفراد يتحالفون في حدود اللياقة العامة التي يفرضها المجتمع . على صلات أفراده .

وبالتالي فان الوالد الأوروبي يفقد كل يوم شيئاً من سلطته على إبنه . وكذا الابن يفقد من إحترامه لأبيه . ولقد أصبحت صلاتهما المتبادلة مقضياً عليها .

وذلك لافتراض مجتمع آلي يميل إلى إلغاء كل امتياز لفرد ما على آخر .

ثم ـ اذا ما اعتبرنا تطور هذه الفكرة منطقيا ـ الى الغاء الامتياز

---

(١) الاسراء ٢٣ .

الناتج من القرابة في الأسرة .

إن الصلة القديمة بين الأب وإبنه تصبح مع الأيام مهجورة)[١]

من كل ما سبق .. يتضح لنا بجلاء ذلك الخط الرئيسي الجوهري في منهج التربية الاسلامية وهو :

أن ينشأ الولد صالحاً .. على تقوى من الله ورضوان لتظل كلمة التوحيد باقية في الأعقاب .. عن طريق ذرية تدرج في جو إلهي مبارك .. وهو يتضح لنا فيما يأتي من توجيهات :

قبــل الميــلاد

يضع الاسلام حلوله العملية لينشأ الولد صالحاً . حتى قبل أن يكون نطفة في رحم أمه . يقول ﷺ :

(أمالو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله :

بسم الله . اللهم جنبني الشيطان . وجنب الشيطان ما رزقتنا . ثم قدر بينهما في ذلك . أو قضي ولد . لم يضره شيطان أبداً)[٢]

إن الاستفتاح باسم الله مأمور به في مثل هذه اللحظات التي تحتوي الانسان فيها شهوة جامحة . آخذاً في إعتباره مقصود الأسرة وهو : الولد الصالح .. الذي ينجو بالدعوة الصالحة من كيد الشيطان ..

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق عن مقال للسيد أبي الحسن الندوي بمجلة البعث الاسلامي العدد ٣ ـ ١٣٩٦ .

(٢) البخاري كتاب النكاح .

ويلفت النظر هنا :

أنَّ الاسلام لا يتخلى أبداً عن خطه الانساني .. ويحاول الصعود بالمسلم إلى أفق الكمال .. فلا تستغرقه العواطف المشبوبة .. بحيث يظل وفياً لانسانيته أبداً ..

وإذا كان لقاء الرجل بأهله مظنة التساهل والتجوز .. فان الاسلام يلفته بقوة إلى الحفاظ على أن يبقي الجو إنسانياً ... إسلامياً بما يأمره من الاستتار .. ليستنزل به دعاء الملائكة .. الذي تتم به البركة المأمولة :

(عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أتي أحدكم أهله فليستتر فانه إذا لم يستتر استحيت الملائكة فخرجت فاذا كان بينهما ولد كان للشيطان فيه نصيب)[1]

وفي هذا المعني يقول الشيخ رضي الدين أبو نصر[2] شارحاً وجهة النظر الاسلامية .. ليلة العرس :

(إذا أعرست بامرأتك فخذ بناصيتها .. واستقبل بها القبلة . وقل :

اللهم بأمانتك أخذتها . وبكلمتك استحللت فرجها . فان قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً سوياً . ولا تجعل للشيطان فيه شركا ولا نصيبا)

إن الاسلام وهو يتجاوب مع غرائز الانسان باشباعها .. يعمل في نفس الوقت على أن يتم ذلك الاشباع في إطار من المعاني

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٤ ورواه البزار والطبراني في الأوسط .
(٢) مكارم الأخلاق ٧٤ .

الانسانية .. بحيث يظل الطهر والصلاح سمة البيت .. وروح العلاقة الزوجية .. التي يراد لها أن تدوم بهذا الود الشائع في سماء البيت ..

وإلا .. فان توخي الأرواء الجنسي وحده لا يحقق الهدف .. بقدر ما يكون ضعيف الأثر في بقاء الأسرة قوية متماسكة .

وهو المعني الذي كان يركز عليه ﷺ دائماً :

(عن جابر قال : كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة . فلما[١] تعجلت على بعير قطوف[٢] فلحقني راكب من خلفي . فالتفت فاذا أنا برسول الله ﷺ قال :

ما يعجلك ؟ قلت :

إني حديث عهد بعرس . قال :

فبكراً تزوجت أم ثيبا ؟ .

قلت : بل ثيبا .

قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ !

قال : فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال :

أمهلوا حتي تدخلوا ليلاً أى عشاء .. لكى تمتشط الشعثة وتستجد المغيبة .

قال : وحدثني الثقة أنه قال في هذا الحديث : الكيس الكيس يا جابر . يعني الولد)[٣]

---

(١) رجعنا .

(٢) بعير قطوف بضمتين : بطيئة السير .

(٣) البخاري كتاب النكاح . والكيس بفتح الكاف : العقل أو الرفق والتأني .

ويطالعنا الحديث الشريف بأمور :

١ ـ أعلن جابر رضي الله عنه رغبته الجنسية الحلال .. بلا تحفظ .. فلا حياء في الدين .

٢ ـ أعباء الجهاد لم تنسه حقه أو حق أهله في لقاء على كلمة الله عز وجل .

٣ ـ لم ينكر عليه ﷺ ذلك .. لكنه يحاور بحكمة حواراً ينتهي بتحديد الصورة المثلى للزواج .. الزواج بالبكر وما يحققه من مودة ومؤانسة فوق شهوة الجنس .. ومن شأن النفس أن تنبسط .. والعواطف بأن تستقر .. فاذا جاء الولد كان له من هذا الاتزان العاطفي نصيب ..

وإلاّ فالزواج بالثيب قد يكون مطلوباً في بعض الظروف ..

٤ ـ وإذا كان الاسلام يستهدف الأسرة الصالحة .. فانه يختط لها السبيل .. ويظهر ذلك فيما نصح به الأزواج في شخص جابر رضي الله عنه ألاّ يتعجلوا بالدخول على زوجاتهم إذا عادوا من أسفارهم ليلاً ..

لماذا ؟

للفرار من مغبة ذلك .. وأثره الوخيم على علاقة الزوجية القائمة .. وعلى مستقبل الطفل أيضاً .

فاذا كان الاسلام يتوخى بالزواج الولد الصالح .. فانه يأخذ في الاعتبار كل ما يحقق ذلك .. ومنه أن تتم المتعة في جو من الطهر والنظافة .. إن طروق الأهل ليلاً .. مفاجأة للزوجة التي لا تكون على مستواها نظافة وتجملاً وإستعداداً نفسياً .. وهذا ما أشارت

إليه السنة المطهرة فراراً من رؤية الزوجة على نحو ينفر الزوج نفوراً يضعف الصلة .. ويرسب في قاع النفس خيالات تتحول بالتكرار إلى موقف من الزوجة .. ولا يخفي ما لذلك من أثر على كل ما في البيت من صور العلاقات الاجتماعية ..

وهنا نلمح ما في تضاعيف المنهج الاسلامي من السمو والكمال المؤديين إلى الاستقرار الأسري ..

تعقيب

حكى جابر رضي الله عنه من قصة زواجه تلك وما تضمنته من معان إنسانية نبيلة .. حملته على أن يتجاهل ما يطمح إليه الشباب مثله من تزوج البكر للأسباب التي ذكرها ﷺ . مؤثراً أن يتزوج ثيباً تعينه على تربية إخوانه اليتيمات :

روى مسلم (عن جابر بن عبدالله قال :

تزوجت امرأة . فقال لى رسول الله ﷺ : هل تزوجت .

قلت : نعم .

قال : أبكراً أم ثيبا .

قلت : ثيبا .

قال : فأين أنت من العذارى ولعابها .)[1]

وفي رواية أكثر تفصيلاً :

(أن عبدالله هلك وترك تسع بنات . أو قال سبع . فتزوجت

---

(١) مسلم : باب إستحباب نكاح البكر.

امرأة ثيبا . فقال لى رسول الله ﷺ : يا جابر .. تزوجت . قال : قلت نعم .

قال : فبكر أم ثيب .

قال قلت : بل ثيب يا رسول الله .

قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك . أو قال تضاحكها وتضاحكك .

قال : قلت له : إن عبدالله هلك وترك تسع بنات أو سبع .وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئهن بمثلهن .

فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن . قال : فبارك الله لك) .

وفي رواية وتمشطهن .

فلو أن جابراً رضي الله عنه قد استجاب لرغبته النفسية كشاب وتزوج بكراً .. لكان التقارب في السن بينها وبين اخواته داعياً إلى التغاير والتنافر بينهن .. مما ينعكس على البنات أثره .. ويفشل الأخ في تقديم أمهات صالحات قانتات .. لكنه تنازل راضياً عن متعة حسية .. ليحقق له وللمجتمع فائدة ترجح ما فاته من دواعي الشباب ..

وإنه ليستشعر سعادة دونها كل سعادة حين يسهم بتضحيته في بناء بيوت على تقوى من الله ورضوان .

وتبدو أهمية الدور الذي قامت به زوجة في خدمة إخواته . الأمر

---

(١) مسلم : باب إستحباب نكاح البكر .

الذي يلفت نظر المسلمين بقوة إلى ما يجب أن تكون عليه العلاقات الأسرية .. ليستيقظ الحياء في ضمائر نساء يؤسسن هذه العلاقات على قاعدة فصل الزوج عن أسرته وعزله عن أهله مهما كانت الظروف ..

وفي هذا الموقف النبيل كما جاء في شرح النووي على مسلم :

(فيه فضيلة لجابر وإيثاره مصلحة أخواته على حظ نفسه . وفيه الدعاء لمن فعل خيراً وطاعة . سواء تعلقت بالداعي أم لا . وفيه جواز خدمة المرأة زوجها وأولاده وعياله برضاها . وأما من غير رضاها فلا) .

وفي خيالي صورة ذلك الشاب ـ في عصرنا ـ والذي تمزقه الحيرة بين قلبه وعقله :

فزوجته جميلة .. وغنية ..

وعلى الطرف المقابل ترقب أسرته معونته جزاء ما قدمت من جميل صار به ذا مركز مرموق .. وبينما نداء الواجب يملأ سمعه لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً .. لأنه أسير ذلك الجمال .. وهذا المال ؟!

أما جابر رضي الله عنه فقد حسم القضية .. حين ظفر بذات الدين .. والتجربة .. والحكمة في تناول الأمور .. وجاء بما يشبه أن تكون أما لأخواته .. ترعاهن .. وتحنو عليهن ..

ولم يكن زاهداً في المال أو الجمال أو المنصب .. بيد أنه أراد أن يعيش على الأرض .. بقيم السماء !

فاكتني بجمال الطبع .. وغني النفس .. وصدق التجربة .. ثروة هي في الواقع أرفع .. وأنفع أيضاً ..

وغداً .. وعندما تتزوج البنات .. سينتقل الحب منهن إلى ذريتهن ليظل الولاء دائماً لخال ودود عطوف أعطى فأجزل العطاء .. وبر فأكمل البر .. وأنت خبير بأن هذا الجزاء الدنيوي مقدمة لجزاء عند الله أوفى . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

النظافة .. والأناقة :

ونلفت النظر هنا إلى الفرق الهائل بين النظافة .. والأناقة ! فالنظافة أدب إسلامي يتحقق به التآلف والحب .. بين الزوجين .. ثم هو من الناحية الإقتصادية بسيط .. يوفر المال .. والجهد .. والوقت جميعاً .. أما الأناقة فهي قشرة تركز على المظاهر .. دون إعتناء بقواد النظافة التي قد تكون صور الأناقة عدواناً عليها ! ثم إنَّها عبء على ميزانية البيت .. يضيع بها الوقت .. والمال .. والعيال .. أيضاً : لأنهم يجدون الأم هكذا .. فينسجون على منوالها ! !

والفرق هائل .. والقفزة بعيدة بين أم تحس بقدوم عائلها فتنهض لإستقباله نظيفة المظهر . والمخبر .. عائلها الذي لا يتلمس عيوبها بالمفاجأة ليلاً مثلاً .. وإنما يعينها على أمر الله ليبقى الود موصولاً .. وأين منها تلك التي تلهث وراء أشكال الأناقة .. فلا تترك لها وقتاً تستقبل فيه زوجها العائد من عمله مرهق الأعصاب مكدود الذهن ؟ إنه لا يشم منها داخل البيت إلَّا رائحة الشواء .. فتضيف أثقالاً فوق أثقاله .. وقد يحدث خلاف .. ثم تتسع مع الأيام دائرته .. ولن يقتصر أثره على الزوجين .. وإنما سيمتد منه

كفل يصيب الذرية الضائعة في دوامة الخلاف .. وأسرة على هذا النحو .. لا تعرف إلى القرار سبيله .. ومفروض علينا أن نعي مباديء الاسلام .. لننقل الخطى على الطريق الواضح .. إلى الهدف الأساسي من الزواج .

عنـاية الاسـلام بالجـنين

ركز الاسلام عنايته بالجنين في بطن أمه .. ليخرج إلى الحياة سليماً معافي .. ومن توجيهاته في هذا الباب نهيه عن إتيان المرأة في المحيض وقاية للذرية من أضراره .. وقبل ذلك صيانة للزوج والزوجة معاً .. يقول الحق سبحانه :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ . نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

إن المحيض أذى محقق الضرر .. ولأنه كذلك .. تطالعنا الآية الكريمة بأكثر من تنبيه يتأكد به التحذير :

١ ـ فالزوج مأمور باعتزال زوجته أيام المحيض .

٢ ـ بل ومكلف كذلك بعدم الاقتراب .. لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

---

(١) البقرة ٢٢٢ : ٢٢٣

٣ ـ فاذا تحقق طهرها تماماً كما يفيد حرف الشرط (إذا) جازت المباشرة حينئذ ..

٤ ـ الأخبار بمحبته سبحانه للتوابين والمتطهرين إغراء باحترام آداب الاسلام هنا ..

يضاف إلى ما سبق من ترهيب .. تتم بهما الصورة المثلى للتربية ..

٥ ـ إن المرأة (حرث) وإذا كانت البذرة لا تنبت بين الأعشاب الطفيلية المانعة من النضج .. فكذلك المباشرة بذرة توضع .. ولا بد أن تكون التربة مستعدة للانبات .. لا بد أن يكون الرحم في أحسن أوضاعه مستعداً للاثمار ..

مبررات التحذير

إن غشيان المرأة في المحيض أذى للرجل والمرأة معاً .. وربما تحملت المرأة الخطر الأكبر..

فانه على فرض سلامة الرجل (من هذا الأذى . فلا تكاد تسلم منه المرأة : لأن الغشيان يزعج أعضاء النسل فيها .. إلى ما ليست مستعدة له .. ولا قادرة عليه . لاشتغالها بوظيفة طبيعية أخرى هي : إفراز الدم المعروف)[1] وقد فصل الطب الحديث نوع الأذى اللاحق بمن يطأ امراته في المحيض : لقد ثبت (أن إتيان المرأة أثناء المحيض ضار جداً بها : لأن أعضاءها التناسلية تكون في

---

(١) المنار ٢٨٥ ط الشعب .

حالة إحتقان . والأوعية الدموية فيها تكون متمددة . فيسهل حصول نزيف بسبب حركة عنيفة . كما يسهل جداً دخول مكروبات الأمراض فتحدث التهابات موضعية وغيرها . قد تذهب بحياة المرأة أو تورثها العقم الدائم .. والرجل كذلك لا يخلو من الضرر : فقد يدخل بعض السائل من الحيض في مجرى البول فيحدث التهاباً يشبه السيلان (الاعتصام) . رمضان ١٣٩٤ .

وسوف تمتد آثار هذا الضرر إلى الذرية :

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من وطىء امرأة وهي حائض فقضي بينهما ولد . فأصابه جذام فلا يلومن إلاّ نفسه)[١] .

وإذا عني الاسلام بالجنين في بطن أمه بما نهى عنه من أوضاع تؤدي إلى الأضرار به فانه قد يعفي المرأة من الصوم إذا كان في الصوم خطر على صحتها .. وصحة الجنين في بطنها ..

وقد أثبت الطب الحديث تأثر الجنين بأعراض أمه الجسمية والنفسية .. مما يؤكد صحة منهج الاسلام الرامي إلى الحفاظ على صحتها وقاية لحملها .

إن إصابة الأم مثلاً في الأسبوعين الأولين من الحمل .. (بالحصبة الألمانية) مدعاة إلى تعرض الجنين لاصابات في العين والأذن . أو القلب .

وقد يحدث في بعض حالات الولادة العسرة كدمات في المخ

---

(١) مجمع الزوائد كتاب النكاح ـ رواه الطبراني في الأوسط عن بكر بن سهل وقد ضعفه النسائي . وقال الذهبي : قد حمل الناس عنه وهو مقارب الحديث .

وجروح يتحول بسببها إستعداد الوليد للذكاء المفرط ليكون طفلاً أبله)[1]

وما أكثر ما تتعرض الأم في هذا العصر لأوضاع تنعكس آثارها على الجنين حتماً. تقول الكاتبة عواطف عبدالجليل :[2]

(من خطايا المجتمع الحديث أنه عندما دفع بالمرأة إلى مجالات العمل نسي أن حواء مازالت. وستظل دائماً المنبع الوحيد للأجيال .. ولهذا .. فلا بد أن يظل المنبع هادئاً .. سليماً .. صافياً .. حتي تخرج الذرية في حالة طيبة. الأم العاملة مرهقة الأعصاب. ممزقة القلب. حزينة النفس : ترى كثيراً من المتناقضات في البيت وفي العمل .. فتحاول نسيان همومها بتناول الأقراص المهدئة .. وبسبب منها يخرج الأطفال للحياة مشوهين. وأن عملية التشوه قد تستمر حتي الشهر السادس من الحمل).

ولقد وضع الاسلام القاعدة .. وحدد المنهج .. ورسم الطريق .. وهذا هو العلم الحديث يؤكد صلاحية الاسلام للتطبيق .. لتخرج به الانسانية إلى بر الأمان ..

الرضاعة .. والحمل

(قال ﷺ : لقد هممت أن أنهي عن الغيلة حتي ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم)[3]

---

(١) سيكلوجية الطفولة والمراهقة د. مصطفي فهمي ١٩.
(٢) الجمهورية أبريل ١٩٧٣.
(٣) مسلم. كتاب النكاح.

والغيلة ـ بفتح الغين وكسرها ـ أن ترضع المرأة وهي حامل .. أو إتيانها وهي ترضع ..

وقد هم ﷺ أن ينهي عن ذلك لما فيه من ضرر بالرضيع لو لا أن الروم وفارس يفعلون ذلك .. فلا يضر أولادهم ..

(قال العلماء : سبب همه ﷺ بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع . قالوا : والأطباء يقولون : إنَّ ذلك اللبن داء . والعرب تكرهه وتتقيه)[١] .

الوليـــد

إذا صار الجنين وليداً . فان له في عنق والديه حقوقاً أرشد إليها الاسلام الذي أمر بحسن إستقباله والاحتفاء به .. على نحو يضمن صحته الجسمية والنفسية معاً : دعا إلى أن يؤذن في أذنه .. تيمناً بذكر الله تعالى .. والمبادرة إلى تحنيكه .. والدعاء له بالخير .. وتكريمه باختيار اسم صالح يكون عنواناً صادقاً له .. ثم ذبح عقيقة شكراً لله تعالى على نعمة الولد .. وذلك كله إجمال يحتاج إلى تفصيل :

تحنيك المولود

عن أبي موسي رضي الله عنه قال : (ولد لى غلام . فأتيت النبي ﷺ . فسماه إبراهيم . فحنكه بتمرة . ودعا له بالبركة . ودفعه

---

(١) مسلم الموضع السابق .

إلى . وكان أكبر ولد لأبي موسي)[1] فانظر كيف طارت الفرحة بالرجل .. ثم حطت به بين يدي رسول الله ﷺ ..

إنه غلام .. ثم هو باكورة الذرية .. وأول الغيث .. وذلك قوله :

(وكان أكبر ولد لأبي موسي) .

وقد بادر ﷺ بتسميته .. واختار له من الأسماء إبراهيم . لعل ما يوحي به من معاني الفداء والبركة يكون له أثره في حياة الوليد .. ثم دعا له بالبركة في عمره وعمله .

وكان التحنيك من قبل رسول الله ﷺ بالذات براعة إستهلال .. من حيث كان ريق رسول الله ﷺ أول شيء دخل في جوفه .

(عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة . قالت : فخرجت وأنا متم[2] .

فأتيت المدينة فنزلت قباء . فولدت بقباء . ثم أتيت به رسول الله ﷺ . فوضعته في حجره .

ثم دعا بتمرة فمضغها . ثم تفل في فيه . فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ . ثم حنكه بالتمرة . ثم دعا له فبرك عليه . وكان أول مولود ولد في الاسلام . ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم : ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم)[3]

---

(١) البخارى . كتاب العقيقة .

(٢) أى شارفت تمام الحمل .

(٣) البخاري كتاب العقيقة .

وعن هذه الآثار نشأ إتفاق العلماء على إستحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمر. فإن تعذر فما في معناه. وقريب منه من الحلو.

فيضع المحنك التمر حتى تصير مائعة .. بحيث تبتلع. ثم يفتح فم المولود. ويضعها فيه. ليدخل شيء منها في جوفه. ويستحب أن يكون المحنك من الصالحين. وممن يتبرك به. رجلاً كان أو امرأة. فإن لم يكن حاضراً عند المولود حمل إليه)[1].

وقد كانت العاطفة الدينية حينئذ جياشة .. وكان الحرص على أن ينشأ الوليد على تقوى من الله ورضوان دافعاً حمل الوالدين على التوجه إلى رسول الله ﷺ طلباً للبركة .. تأسيساً لحياته على أقوى ما يشاد عليه البناء .. وحين يشترط العلماء أن يكون المحنك صالحاً فانه الشرط الذي يمليه الحرص على مستقبل الوليد .. الذي يجب أن تتلقاه بيئة طاهرة نظيفة .. بقدر ما يحشد بجهود الوالدين لينشأ صالحاً .. لتتجه طاقتها في الاتجاه الصحيح .. بعيداً عن معاني الجاهلية الأولى. والتي كانت ترصد الولد للحرب والمفاخرة ..

فائـــدة التمـــر

أما بالنسبة للتحنيك بالتمرِ بالذات .. فقد ذهبنا نسائل الطب الحديث .. لعله يكشف عن جوهر الحق في هذا الأمر ..

ولقد أكد الطب ـ ومازال ـ صدق نظرة الاسلام الذي لا يصوغ نظريته في التربية توجيهات مكتوبة .. تستذكر ثم تنسي ..

---

(١) مسلم : باب إستحباب تحنيك المولود.

وإنما يختط السبيل العلمي منذ اللحظة الأولى .. حفاظاً على صحة الوليد ثم على صحة الأم .. التي ترتبط أساساً بصحة الوليد من ناحيتها الجسمية والنفسية : يقول الدكتور عبدالعزيز شرف :

(يقول الله تعالى : **﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا . فكلي واشربي وقري عيناً﴾**[1] .

فقد فضل الله البلح لمريم . لما فيه من فوائد غذائية وقيمة طبية . وقد أفاض العرب في وصف النخلة والبلح والتمر .

وللتمر والبلح فوائد دوائية مختلفة . أقرها الطب العربي القديم . ثم حققها البحث العلمي الحديث .)

وبعد أن بين الباحث عناصر التمر الغذائية يقول : نقرأ الآية : **﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾** من قصة مريم .

وقد نمر عليها من غير أن نربط بين الحالة التي هي عليها مريم . وهي في أيامها الأخيرة من حملها بعيسي عليه السلام .. وبين أمرها بأكل الرطب الذي يساقط عن النخلة .. حتي جاء العلم الحديث وفسر لنا هذا السر وما فيه من إعجاز قرآني :

إن الله جلت قدرته يأمر مريم بأن تأكل البلح .. لا لغذائها فقط . بل لأمر آخر يعلم الله كنهه وسره وهو مساعدتها في ولادتها لنبيه ورسوله عيسى عليه السلام .

وأراد لها ولادة سهلة في وحدتها . فوصف لها الرطب لتأكل منه ليقوم هذا الرطب الذي أمرها الله به بدور الدواء الذي غالباً ما

---

(١) سورة مريم ٢٥ ـ ٢٦ .

يقدمه الأطباء في العصر الحديث للحامل قبل الولادة)[1]

وقد أفاض المؤلف في بيان فوائد التمر للأمعاء .. والدم والبطن .. والصحة العامة مما يؤكد موقف الاسلام في حرصه على صحة الحامل .. في سبيل وليد يستقبل حياته صحيحاً بين أحضان أم تمنحه من صحتها النفسية والجسمية ما يساعده على النمو والتكيف ..

وفي الوقت الذي يختار فيه الرسول ﷺ (التمر) بالذات .. ويركز عليه دائماً يلفت الأنظار إلى ما لهذا الغذاء من فائدة طبية وغذائية تتصل بالمولود نفسه وبخاصة في هذه اللحظات التي يبدأ فيها مرحلة تغاير تماماً رحم الأم .. وتحتاج إلى عنصر فعال يساعده على التكيف مع البيئة الجديدة .. فكان الأمر بالتحنيك رحمة بالأم .. وبالوليد .. وكان أيضاً شهادة صادقة أن هذا الدين من عند الله تعالى .

والآثار المستفيضة تؤكد أهمية التحنيك .. بل وضرورة الاسراع به .. من حيث كانت حياة الوليد الجديدة شديدة الاختلاف عما كان الحال عليه في بطن أمه .. ومن ثم فلا بد من الوقوف إلى جانبه ليحدث التكيف المطلوب .. و (ليتمرن على الأكل . ويقوي عليه) كما قرر ذلك بعض العلماء :

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان إبن لأبي طلحة يشتكي . فخرج أبو طلحة .. فقبض الصبي . فلما رجع أبو طلحة

---

(١) منبر الاسلام . العدد ٥ السنة ٣٤ .

قال : ما فعل إبني ؟

قالت أم سليم : هو أسكن ما كان .

فقربت إليه العشاء . فتعشي . ثم أصاب منها .

فلما فرغ قالت : وارِ الصبي .

فلما أصبح أبوطلحة أتي النبي ﷺ فأخبره فقال : أعرستم الليلة ؟[1]

قال : نعم .

قال : اللهم بارك لهما في ليلتهما . فولدت غلاماً .

قال لى أبو طلحة : أحفظه حتي تأتي به النبي ﷺ .

فأتي به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات . فأخذه النبي ﷺ فقال : أمعه شيء ؟

قالوا : نعم .. تمرات ..

فأخذها النبي ﷺ . فمضغها . ثم أخذ من فيه فجعلها في « في » الصبي . وحنكه . وسماه عبدالله)[2] .

وفي رواية : (أن أم سليم قالت لي : يا أنس : أنظر هذا الغلام فلا تصيبن شيئاً حتي تغدو به إلى النبي ﷺ .)[3]

وإذا كنا نحاول بهذه اللمحات أن نؤسس قواعد الأسرة من الاسلام فلا يفوتنا هنا أن نقف وقفة متأملة أمام دور المرأة المسلمة .. أم سليم .. هذا الدور الذي كان له أثره في إرساء قواعد البيت السعيد :

---

(١) أعرس الرجل إذا بني بامرأته .

(٢ ، ٣) البخاري كتاب العقيقة ـ فتح الباري .

إنَّ أنساً رضي الله عنه يحكي هنا بعض ذكرياته .. مع أخيه لأمه ! يحكيها بلا غضاضة أو تبرم من زواج أمه بغير أبيه !

بل إنَّ حساسية الموضوع لم تمنعه من نشره بلاغاً للناس .. وماذا في زواج الأم بعد وفاة العائل ؟!

كثير من الأبناء يتحرجون .. ويرفضون بشدة مجرد التفكير في هذا الموضوع .. وربما تعلق الأمر بالوالد الذي تجنح حياته إلى مغيب .. ويريد أن يتزوج بعد وفاة الصاحبة ..

ويثور الأبناء حفاظاً على الثروة . وضناً بنصيب الزوجة المرتقبة ليبقي خالصاً لهم ! يحافظون على الثروة .. ولا يحافظون على كرامة الوالد !

إنه رجل .. يبحث عن نصفه الآخر .. فراراً من الوحدة القاتلة .. وصحيح أنه ضعيف .. ولا يشكل زواجه ضرورة قصوى .. ولكن ما رأيكم دام فضلكم ـ أيها الأبناء الأوفياء ـ لو منعتموه فوضع شهوته الباقية هذه .. في حرام ؟!

ماذا يبقي من كرامتكم .. جميعاً حتي لو كان هو الخطأ الأخير في حياته ؟

أيهما أكرم .. أن يضعها في حلال .. أم يضعها في حرام ؟

إن نصيب الزوجة المقترحة من الميراث ـ ضئيل .. إلى جانب الخسارة الفادحة لو انحرفت به شهوة جامحة !

ومن يدري :

فلعل الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل .. حماية للميراث .. يموتون هم .. ويرثهم آباؤهم ! !

ويرثون أيضاً ذرية ضعافاً يصيرون أمانة في يد جدّ يرعاهم .. مع زوجة لديها متسع من الوقت .. وفائض من الجهد تبذلها راضية .. ولو وعينا دروس الحياة من حولنا لوفرنا على أنفسنا أعباء معركة بين آبائنا .. وقَدَّمنا ـ بِالبِّر ـ لِغَدٍ لا نعلمه .. يصبح الوالد فيه .. مع زوجته الجديدة طوق النجاة في حياة أولادنا من بعدنا.

إن « أنساً » رضي الله عنه « تربية » « أم سليم » . ومن ثم جاء صورة لأخلاقها .. وحكمتها ..

ولقد نجحت المرأة فيما فشل في تحقيق مثله الرجال ..

ثم .. ما هو موقف أم سليم مع زوجها ! لتتم الرواية فصولاً ؟

إن أبا طلحة ـ زوجها ـ عاد من سفره .. وفي خياله صورة ولده الذي تركه مريضاً ..

وحرقة اللهفة على صحة الولد المريض لا يعرفها إلاّ أب أو أم .. ولكن الحقيقة المرة : أن الولد قد مات .. فكيف تخبره .. بشرط ألا تكذب .. حتي في ظروف ربما جاز فيها الكذب ؟

قالت : هو أسكن ما كان ..

وصحيح : أنه هدأ .. هدوءاً أبدياً .. وهو أشد سكوناً من ذي قبل .. والمرأة صادقة ..

ومع صدقها فقد إحتفظت بأعصابها كالحديد .. فأعدت الطعام .. وأكبر من ذلك : أعدت نفسها للقاء زوجها ! !

بينما فلذة الكبد : مسجى .. والفلك على وشك الرحيل .. كل ذلك لتحقق أمرين :

(أ) ألا تفاجيء الوالد بخبر فادح الوقع .. فتتأثر صحته .

(ب) .. وأن تتيح له مع ذلك أن يسترجع ويحسن إستقبال العاصفة .. فلو أنها فاجأته .. لأضرت به : دنيا .. ودينا .. بيد أنها .. احتفظت بأعصابها .. وأدارت شئون البيت بحكمة نادرة ..

وكما تقول بعض الروايات : إنَّها أخبرته بأن الجيران رفضوا في غيبته أن يردوا أمانة لآخرين عندهم .. فلما أنكر أبو طلحة الموقف .. قالت كلمتها معلنة أن أمانتك .. أن ولدك وهو وديعة الله عندك .. في طريقه الآن إلى خالقه سبحانه ..

فلم يسع الرجل إلاّ أن يسترجع بعد أن هيأت له الزوجة السبيل إلى الاسترجاع .. وكانت دعوة الرسول ﷺ مسك الختام .. ختام هذا الدرس البليغ .. وما أكثر ما في تراثنا من دروس .

التهنئة بالمولـود

والمولود ـ ذكراً أو أنثي ـ نعمة من الله تعالى تستحق الشكر :

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ (١)

ومن ثم فالتهنئة بالمولود تتم في هذا الاطار :

(ولد لرجل ولد . فهنأه رجل . فقال : لَيَهْنِئْكَ الفارس . (٢)

قال الحسن البصري : وما يدريك ؟

قل : جعله الله مباركاً عليك وعلى أمة محمد) (٣)

---

(١) الشورى ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) أى سرني فهو هانيء .

(٣) أخرجه البخاري . الدين الخالص ج ٤١٥ .

فالذين يرخون لآمالهم العنان فيرجون أن يكون الولد .. فارساً .. أو ضابطاً .. أو طبيباً .. عليهم أن يعرفوا جيداً أن الخلق الفاضل ضروري لكل هذه الوظائف .. وأن البركة الحاصلة في الولد . هي النعمة الكبرى .. لأنه بهذه البركة يستقيم في نفسه ليكون بعد ذلك رجلاً يخدم دينه وأمته ..

وما قيمة الطيار أو الطبيب إذا فقد صلاح النفس وتماسكها بالايمان بالله تعالى ؟

لقد أدرك الحسن البصري بحسه البصير من وراء التهنئة تلك الروح القبلية التي كانت تنتظر الولد ليضيف إلى عدد القبيلة واحداً يحمل السلاح دفاعاً عنها ظالمة .. أو مظلومة .

فلفت نظر الرجل إلى ما يجب أن يكون عليه المسلم في نظرته إلى الولد : فلا بأس أن يجيء فارساً .. بل إن مجيئه كذلك هدف من أهداف الاسلام . ولكن الأهم من ذلك أن تكون فروسيته بركة على أبيه في أهله وماله ومستقبله وأن تدخر طاقاته لحساب الدين الذي أكرمه الله به والأمة التي أناط الله بها إظهار دينه على الدين كله .. وبهذا المفهوم المتراحب تتوارى أحلام القبيلة .. ونوازع التعصب .. في نفس الوقت الذي يصبح فيه حادث الولادة فرحاً كبيراً تحس به الأمة كلها .. وقد مر بنا كيف أشاع اليهود أن المسلمين لن يولد لهم بعد اليوم . لأنهم قد سحروا من قبلهم ..

وجاء أول مولود في الاسلام .. وضعته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها رداً إلهياً على كيد اليهود .. يدخر منذ اليوم لا لأبيه فقط .. بل ليكون جندياً يحق الحق ويبطل الباطل .

العقيقـــة

ومن آداب الاسلام : إظهار السرور بالوليد .. عن طريق العقيقة التي تذبح تكريماً له .. وشكراً لله عز وجل على نعمة الذرية ..

(عن سلمان بن عامر الضبي قال : مع الغلام عقيقة فأهريقوا[١] عنه دماً . وأميطوا عنه الأذى)[٢]

وحين سئل ﷺ عن العقيقة .. شجع الناس عليها .. وفي نفس الوقت لقنهم درساً في أدب النبوة العالى .. حين وافق على المبدأ ـ وكره اسم العقوق لما فيه من معاني الفرقة التي ينبغي ألا نستقبل بها الصغير .. واختار بدلاً منه لفظ « النسك » :

(عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال : إن الله لا يحب العقوق[٣] ! ! وكأنه كره الاسم .

قالوا : يا رسول الله إنما نسألك عن أحدنا يولد له . قال : من أحب منكم أن يَنسُك عن ولده فليفعل عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة)[٤] .

---

(١) يقال : هَراقة . الأصل : هَرْيقة . وزان : دحرجه . وقد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال أهراقة يُهْريقة . والأمر هَرِق .

(٢) البخاري كتاب العقيقة .

(٣) في الحديث : (قولوا نَسيكة . ولا تقولوا عقيقة) عن المصباح مادة عق .

(٤) مسند الامام أحمد ج ١٨٢٣ : ١٨٣ .

فالرسول ﷺ ينتقل بهذا العمل من مجرد إظهار السرور والتفاخر .. ليأخذ أهميته ضمن العبادات التي يتقرب بها إلى الله ثم هو إستبعاد لكل ظل من الفرقة يرف تحت سقف البيت .. مما يؤكد أهمية هذه اللمحات التي تبدو لنا صغيرة لا يلفت إليها ... بينما هي لبنات يكبر بها البناء مع الأيام .. لتؤدي بعد ذلك دورها في بناء شخصية الانسان .

إيضـــاح :

الحديث صريح الدلالة على أن نسك الغلام : شاتان مكافئتان[1] .. وعن الجارية شاة ..

(وأخرج البزار من طريق عطاء عن ابن عباس رفعه : « للغلام عقيقتان . وللجارية عقيقة »)[2]

والسؤال الآن :

لماذا هذا التفريق بين الذكر والأنثي .. في الوقت الذي ترى فيه توجيهات الاسلام الرامية إلى تكريم البنت لتأخذ مكانها ـ في ظل الاسلام ـ إلى جانب أخيها موفورة الكرامة .

وإجابة عن هذا السؤال :

(ذكر الحليمي أن الحكمة في كون الأنثي على النصف من الذكر : أن المقصود إستبقاء النفس فاشبهت الدية)[3] .

---

(١) أى : متشابهتان .. أو مثلاً .. أو متقاربتان في السن (فتح البارى)

(٢) فتح الباري .

(٣) المرجع والموضع السابق .

وتسعفنا أحكام الميراث القاضية بتفضيل الرجل على المرأة في القسمة .. لتكون جواباً عن هذا التساؤل .. ولا يدع مجالاً لانكار أن تكون الأنثي على النصف من أخيها في العقيقة .. ليظل الاسلام وفياً لمبادئه ..

وربما جاز لنا أن نقول :

إنَّ فرحة الوالدين بالذكر تصل بهما إلى درجة التشبع إن صح التعبير .. هذه الفرحة التي تنحسر موجتها قليلاً أو كثيراً في حال ولادة الأنثي .. ومعني ذلك : أن واقعية الاسلام تعترف بهذه الفرحة .. وتقدرها قدرها .. وبدل أن ينفس الوالدان عنها بطرق غير مشروعة .. يدعو الاسلام إلى إستيعاب هذه الفرجة .. واحتوائها .. وإفراغ شحنتها بهذه المظاهرة الأسرية . أى بذبح شاتين لا شاة واحدة !

وفي نفس الوقت يوصي بأن تتم العقيقة تحت عنوان الشكر لله تعالى .. فلا مجال لمعاني التفاخر أو التكاثر .. ليبقي البيت مشدوداً إلى قيم السماء .. في ذات اللحظة التي يعبر فيها عن فرحة غامرة يحسها فعلاً .. ويعبر عنها طاعة لله تعالى .

لقد مر بنا كيف لفت الحسن البصري نظر الرجل المهنيء بمولود لتكون التهنئة المثلى :

(جعله الله مباركاً عليك وعلى أمة محمد)

ومعني ذلك أن ما يحقق البركة يكون أثقل في موازين الخير ولو كان أنثي .. ممن يجيء فارغاً من هذه البركة .. ولو كان ذكراً !

وإذا كانت الصحة تاجاً على رءوس الأصحاء لا يعرفه إلاّ

المرضي .. فان إنجاب البنات في كثير من الأحيان يكون تاجاً على رءوس الوالدين . لا يعرفه إلاّ من إبتلوا بذكور أحبطوا أعمارهم .. وأعمالهم !

إن النجاح في تربية البنت يعني إعداد أم .. بل يعني إعداد أمة بأكملها ..

ما يحدث اليوم :

المفروض أن تتم كل هذه الظواهر الاسلامية بمشهد من الصغار والكبار في البيت .. وفي الحي ..

ولا شك أنها تاركة آثارها على النفوس التي تستقبلها فتصطبغ حياتها .. باللون الاسلامي .. وتتنفس روحه .. فتتشرب مبادئه .. ولكن الناس اليوم .. يهربون جاهلين متجاهلين من هذه الآداب الاسلامية .. إلى صور أخرى مستوردة : فجعلوا الحلوى .. والشموع .. والورود .. إعلاناً عن الفرح بالوليد .. وأحيوا بذلك أيضاً ذكرى ميلاده أحياءً يبلغ حد الوجوب العيني ! فخرجوا عن الجو الاسلامي .. ودخلوا في أحوال غيرهم من أمم لا تدين بالاسلام .. وترهق ميزانية البيت بهذا السرف .. بل وتضييع الوقت في مجاملات لاترضي الله عز وجل .

والعودة إلى شرع الله تعالى .. وما فيه من إقتصاد ومودة :

أولاً : طاعة له سبحانه تنعكس بركتها على الوليد ..

وثانياً : إحتفاظ بالشخصية الاسلامية متميزة في معركة القيم .. التي يجب أن نخرج منها منتصرين .

إختيـــار الإسم

لا تنتهي مسئولية الوالد إزاء الولد باختيار أمه الصالحة .. بل إن ميلاد الطفل يكون بداية لمرحلة طويلة تبدو مسئولية الوالدين فيها خطيرة .. كما مر بك .

ومن أهم الخطوات على هذا الطريق بعد ما تقدم أن يحسنا إختيار اسمه الذي هو شارته وسمته بين الناس ..

وقد (إقتضت حكمة الله أن يكون بين الاسم والمسمى تناسب

وقد (اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون بين الاسم والمسمى تناسب

ومن ثم . غير ﷺ الاسم القبيح بالحسن وهو كثير . وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعني المذكور)[١]

وقد كان الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء . ككلب وحنظلة وضرار . وحرب . وما أشبه ذلك .

وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء كفلاح ونجاح . ونحوهما . والسبب في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي :

لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء . نحو كلب وذئب . وعبيدكم بأحب وبأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح ؟ فقال :

إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا .. وعبيدنا لأنفسنا ..

(يريد أن الأبناء معدة للأعداء .. فاختاروا لهم شر الأسماء .

---

(١) السيرة الحلبية ٧٥ .

والعبيد معدة لأنفسهم فاختاروا لهم خير الأسماء)[1] .

ومن طريف ما يروى في التسمية بأسماء غير مستحسنة عرفاً : أن وائل بن قاسط مر بأسماء بنت دريم .. وكان يقال لها أم الأسبع :

وكانت إمرأة جميلة . وبنوها يرعون حولها .. فهمّ بها . فقالت له : لعلك أسررت في نفسك مني شيئاً . فقال : أجل ! فقالت : لئن لم تنته لأستصرخن عليك أسبعي فقال :

ما أرى بالوادي أحداً ! فقالت :

لو دعوت سباعي لمنعتني منك . وأعانتني عليك فقال :

أوتفهم السباع عنك ؟ فقالت :

نعم .. ثم رفعت صوتها : يا كلب . ! يا ذئب ! يا فهد ! يا دب ! يا سِرحان ! يا أسد .. فجاءوا يتعادون ويقولون :

ما خبرك يا أماه ! قالت :

ضيفكم هذا أحسنوا قراه .. ولم تر أن تفضح نفسها عند بنيها . فذبحوا له واطعموه فقال وائل :

ما هذا الا وادي السباع !)[2]

ولا شك أن حماس الأولاد في الدفاع عن أمهم . وحضورهم بين يديها . بمجرد ندائها .. لم يكن فقط لأن كلا منهم يحمل إسماً يثير الفزع . بل كان ذلك بالدرجة الأولى ثمرة تربية فذة .. تميزت بها الأم العربية .. قبل الاسلام وبعده ..

---

(١) بلوغ الأدب للألوس البغدادي ج ١٩٣/٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ١٩٤ : ١٩٥ .

هذه التربية التي تجيء « أم الأسبع » عنواناً لها .. دليلاً عليها : إنها تعلم أن سمعة المرأة في البيئة العربية مثل الزجاجة : كسرها لا يجبر . وأن مجتمعها الصارم يتردد ألف مرة قبل أن يتقبل توبة المرأة السيئة السمعة .. ومادامت خواطر السوء قد ماتت في صدر الضيف اللئيم أمام حكمة المرأة ويقظتها .. وما دام درسها القاسي الذي ألقته عليه آتي أكله .. وبقيت هي كما كانت طاهرة عفيفة .. فلم الصراخ ؟ .. ولم التجريح ؟ فلتبق المرأة في نظر أولادها كما هي : البريئة النظيفة ..

ولا داعي لأن تفرغ حماس الأولاد في قضية خاسرة .. وهو مثل بليغ نقدمه للأم العصرية كي تحسن قراءة تاريخها لترى في مثل هذا المشهد ما يوقظ ضميرها الغافي .. ليشتد وخزه لها .. حتى تستر ذراعها .. وساقها .. وتستر معها روح العصر التي جلبت إلى البيت كل عناصر التهاون التي تفسد الرجولة .. عن طريق الأم التي لم تستشعر خطورة مسئوليتها إزاء ذرية .. ينظرون إليها فيسلمون زمامهم معها إلى كل فكرة وافدة .. على نحو يبدد الحماس الموروث في معركة التقليد الأعمى .. حتى إذا جد الجد .. وكشرت ذئاب السوء عن أنيابها .. وتعرضت سمعة البيت للقيل والقال .. لم تجد في البيت « سبعاً » ولا حتى « كلباً » يعوى !

لقد مات الاحساس في دوامة « العصرية أو التقدمية » وهجم « الضيف اللئيم » على الفريسة في محاولة لاقتناصها .. والذرية هناك .. كل حزب بما لديهم فرحون .. كل يغني على ليلاه .. ؟!!

ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا نحب أن يكون حديثنا هنا دمعة نذرفها .. ثم نمضي .. لأن هدفنا الأساسي هو إيقاظ الضمير لدى الأم بخاصة لتدرك أنها ليست حرة في ذات نفسها .. من حيث كانت عنواناً لبيتها وعائلتها .. وكل خطأ ترتكبه يمتد أثره إلى الأبناء والأحفاد .

فلم تكن الأم العربية تجلب لولدها من السوق دمية تصور الأسد .. أو النمر .. لكنها كانت تغرس فيه شجاعة الاثنين !

وهي مع ذلك تغرقه بموجات من الحنين عن طريق أغنيات تبث فيه عناصر الرجولة .. والانسانية الرحيمة في نفس الوقت ..

فينشأ بطلاً .. يضع بطولته لحساب الحق .. يقسو ويرحم مشدوداً إلى قيم الخير التي زرعتها يد الوالدين في نفسه على نحو ما أشار حديثه ﷺ من تفرد نساء قريش بالحنان .. وصدق التجربة .

من توجيهات الرسول

كان ﷺ (يتخير في خطابه . ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها . وأباعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش :

فلم يكن يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون . في حق من ليس كذلك . وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله ...

فمن الأول :

منعه أن يقال للمنافق يا سيدنا . وقال : فان لم يكن سيداً أسخطكم ربكم عز وجل .

ومنعه أن يسمي شجرة العنب كرماً . ومنعه تسمية أبي جهل بأبي الحكم)[1] .

ويلاحظ : أن المنافق ليس سيداً قطعاً . فالكلام من باب المداراة .

إن لفظاً معيناً قد يغري بالمعصية . ويساعد على الانحراف إلى حد ما . من أجل ذلك نلمس حكمة الرسول ﷺ البادية في إختيار أسماء تلازم المرء طول حياته .. وأثرها على الشخصية ملموس .

وفي بيان علة ذلك يقول صاحب زاد المعاد في نفس الموضع :

(نهى رسول الله ﷺ عن تسمية العنب «كرماً» وقال : الكرم قلب المؤمن . لأن هذه اللفظة تدل على كثرة الخير والمنافع في المسمى بها . وقلب المؤمن هو المستحق لذلك . دون شجرة العنب «التي هي أصل الخمر» ... وذلك ذريعة إلى مدح ما حرم الله . وتهييج للنفوس عليه . هذا محتمل . والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ . والأولى ألا يسمى شجر العنب كرماً)[2] .

فاذا ما تعلق الأمر بمستقبل الولد .. وهو حامل الأمانة بعد والده .. فان الأمر يحتاج إلى مزيد من الدقة في اختيار الاسم .. على قدر أثره في سلوك الطفل .. وتحديد علاقاته بالناس من حوله ..

يقول ﷺ :

---

(١) زاد المعاد ج ٩٢ .

(٢) المرجع السابق .

(لا يغلبنكم الأعراب على إسم صلاتكم .. وإنها العشاء .. وأنهم يسمونها العتمة ... وهذا محافظة منه ﷺ على الأسماء التي سمى الله بها العبادات فلا تهجر ويؤثر عليها غيرها . كما فعله المتأخرون في هجران ألفاظ النصوص . وإيثار المصطلحات الحادثة عليها . ونشأ بسبب هذا من الفساد ما الله به عليم .

وهكذا بدأ بالصفا وقال أبدءوا بما بدأ الله به)[1]

ومع أن القوم أعراب .. من بني جلدتنا .. إلاّ أن الرسول ﷺ يحذر من إيثار ألفاظهم على ما رضيه الشارع الحكيم لنا .. وهذا دليل على أن الأمر ليس إجراء شكلياً يتعلق باستبدال كلمة بكلمة . بل إنه أخطر من ذلك :

إنها مخالفة يسيرة في حد ذاتها .. لكنها تخلخل بقدرها من الاستمساك بالحبل المتين .. على نحو يمهد لخطوة أخرى يخف بها الارتباط بالعروة الوثقي .. ثم تنحل عرى الشخصية الاسلامية عروة

عروة .. من حيث لانحتسب .. وهنا ندرك لماذا يحذرنا الرسول ﷺ من اشياء قد تبدو لنا صغيرة .. لكنها بما تخلفه من آثار في عالم الواقع تشكل خطرا يجب تلافيه .

فالذين يستبدلون الأدني بالذي هو خير .. الذين يستنكفون النطق بكلمة العم .. والخال .. إلى ما يفيد معناها بلغة الاجانب .. والذين تثقل على سمعهم إسم « على » .. أو عبدالله .. أو صالحة .. أو زينب .. فيؤثرون عليها ما رق من أسماء أجنبية مجاملة

---

(١) زاد المعاد . الموضع السابق .

للمجتمع .. على ما تفيده الأسماء الأولى من قيم عليا .. وما تفجره من مشاعر إنسانية .. هؤلاء جميعاً مخطئون في حق دينهم أولاً .. ثم في حق أنفسهم وأولادهم ثانياً .. مخطئون في حق الدين .. لأنهم حين سمحوا لأنفسهم بالاستجابة لداعي المجاملة والتظرف في نظرهم جرهم ذلك إلى التحلل من قيم الدين الكبرى .. والتطلع إلى غيرها في الشرق أو الغرب.

وهكذا بدأ الخطر منذ الخطوة الأولى .. وهو الأمر الذي حذرنا منه الرسول ﷺ .

ولقد قصروا في حق أولادهم حين يشبون عن الطوق فيتحرجون من الانتساب إلى أعلام وردت في شهادات ميلادهم .. مع ما في هذه الأعلام من تكريم للانسان .. فاذا ما تمزقت أفكارهم حينئذ على مفترق الطرق .. فان هذا التمزق مردود إلى قصور الآباء والأمهات بالدرجة الأولى .

ومن آداب النبوة في التسمية أن يسمى الوليد في يومه السابع . كما في حديث عائشة رضي الله عنها :

(كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى)[١] .

ويشير التوجيه النبوي الكريم إلى تفاعل الوليد مع بيئته منذ أيامه الأولى .. وما لتسميته من أثر في تحديد وجوده ضمن أسرته بهذا العلم المميز.

---

(١) زاد المعاد ج ٢٢ .

وفي إرشاداته ﷺ ما يعين على تخير الاسم المناسب المحقق لمضمونه في نفس الصبي .

جاء ي الاستيعاب (١٢٤٩٣) على لسان أحد الصحابة :

(أتيت النبي ﷺ بابن لي يقال له : حازم فسماه عبدالرحمن) ورغم شرف معني (حازم) وما يوحى به من الصرامة والجد . إلاّ أن فيه ما يدل على الاعتزاز بالذات إلى حد يضعف معني العبودية لله تعالى . مما يجعل (عبدالرحمن) أعون على تجدد الصلة به سبحانه . ودوام الالتجاء إلى رحمته والتعرض دائماً لنعمته .. في ظل من هذا الاسم الموحى .. الذي يترك ترداده إنطباعات لا يقتصر أثرها على الصبي .... لكنها تتخطاه لتكون مع النية الخالصة عبادة يثاب الوالدان عليها .

وقد تطرق ابن الجوزي إلى الحديث عن سر هذه التسمية فجاء بما يشني الغليل .. فقال :

(ولما كان الاسم مقتضياً لمسماه . ومؤثراً فيه . كان أحب الأسماء إلى الله ما اقتضي أحب الأوصاف إليه كعبد الله وعبدالرحمن ..

وكأن إضافة العبودية إلى إسم الله وإسم الرحمن أحب إليه من إضافتها إلى غيرها كالقاهر والقادر .

فعبد الرحمن أحب إليه من عبدالقادر . وعبدالله أحب إليه من عبد ربه . وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله . إنما هو العبودية المحضة والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة : فبرحمته كان وجوده . وكمال وجوده .

والغاية التي أوجده لأجلها . أن يتأله له وحده . محبة وخوفاً . ورجاء وإجلالاً وتعظيماً . فيكون عبداً لله . وقد عبده لما في اسم الله من معني الالهية التي تستحيل أن تكون لغيره . ولما غلبت رحمته غضبه .. وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب .. كان عبدالرحمن أحب إليه من القاهر)[1] أى أن الأدب الاسلامى يستهدف توفر مشاعر الولاء لله وحده . ثم تحويل مشاعر الرحمة لدى الانسان لتكون خلقاً عملياً يلتزم به في صلته بالناس .

وعن أثر الاسم في الأسرة كلها يروي ابن المسيب :

(عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال :

ما اسمك ؟ قال : حزن .

قال أنت سهل . قال : لا أغير إسماً سمانيه أبي !

قال ابن المسيب : فما زالت الحزونة فينا بعد)[2]

لقد صارت الحزونة سمة لأسرة « المسيب » لأنها خالفت توجيه الرسول تمسكا بتقليد الآباء . فمع أن الرسول ﷺ لم يفرض على الرجل اسمه المقترح وترك الأمر لاختياره إلا أن ذلك ينقص من درجة مخالفته للرسول ﷺ . فهو الرسول المبلغ عن الله وطاعته من طاعته . وإذا علم أن شريعته لمصلحة الانسان أولاً وأخيراً .. تبين لنا كيف تكون مخالفته عدواناً يوقعه المرء على نفسه . إلى جانب كونه معصية قد تؤدي به إلى الهلاك .

ولذلك قال الامام النووى بكفر من لم يعمل بالسنة . إذا قال

---

(١) زاد المعاد ج ٦٢ .

(٢) البخاري . كتاب الأدب .

الرافض : لا أعمل بها مع أنها سنة .. وإن خالفه الجمهور في ذلك .

وإذن .. فمحاولة الرسول تغيير الاسم من القبيح إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن خطوة مهمة في منهج التربية النبوية تتأكد به الصلة العضوية بين الاسم والمسمى :

(كان أبو عامر[1] يسمى في الجاهلية الراهب . فسماه رسول الله ﷺ الفاسق)[2]

وهذا دمغ له بالفسوق . وهو الوصف الحقيقي له . فلا يبقى له الحق ولا للمجتمع أن يزيف دخيلة نفسه تحت شارة لا مضمون لها ..

وبذلك تبقى للأسماء أهميتها كشعيرة يحاسب المرء عليها . بقدر ما يترتب عليها من آثار في عالم النفس والواقع .

وعكس ذلك صحيح أيضاً :

فقد غيّر ﷺ اسم (عاصية وقال : أنت جميلة)[3] .

ومن بركات الاسم الحسن .. في حياة الانسان ومستقبله ما روى أنه (قدم على رسول الله ﷺ عبد عوف بن أصرم فقال ﷺ : من أنت ؟

قال : عبد عوف .

---

(١) هو أبو عامر . عبد عمرو بن مالك بن النعمان أحد بني صبيعة (إبن هشام) .
(٢) سيرة إبن هشام ج ٧١/٣ .
(٣) مسند الامام أحمد ج ٨/٢ .

قال : أنت عبدالله . فأسلم)[1] .

فانظر كيف تغير الاسم .. فبدأ التغيير الكبير في حياته بالاسلام .

وهذا توجيه كريم منه ﷺ ليقيم الناس حياتهم على المعاني الكريمة .. التي تشكل أساساً لصحة النفس والجسم ..

وقد تجاوب في ذلك مع فطرتهم الأصيلة التي تنفر بذاتها من كل معني قبيح .. مثل كراهتهم لفظ الغراب لاشتقاقه من لفظ الغربة ..

(أخرج مالك عن يحي بن سعيد رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال لِلقحة[2] تحلب : من يحلب هذه ؟ فقام رجل . فقال : ما اسمك ؟ فقال : مرة . فقال له : أجلس . ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل . فقال : ما اسمك ؟ فقال : حرب .

فقال له : أجلس .

ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل . فقال له : ما اسمك ؟

فقال : يعيش .

فقال : أحلُب ! !)[3]

إن الرسول الكريم يكلف صاحب الاسم الحسن الخيّر ليقوم بالدور .. وربما كان واحد من سابقيْه أقدر منه على إنجاز المهمة .. لكنه بما يحمل من شارة الخصب .. يؤمر وحده بأداء الدور .. و انما كان اسمه كائناً حياً .. أو عنصراً فعالاً يدرّ الخير .. ويفجر ينابيعه ..

---

(١) أسد الغابة ط الشعب ج ٣ ك ٦ ص ١٢٦ .

(٢) اللقحة الدرور : الحلوب .

(١) من باب قتل .

وفي ربط النفوس بالمعني الجميل خطوة على طريق تربيتها تعدها للتجاوب مع كل فضيلة يأمر بها الدين .

ومع هذا فبعض الناس يحرف الكلم عن مواضعه .. فلا يرضيه أن يظل ولده كما سماه . « مصطفي » مثلاً .

وكأنه يندم على خطأ ارتكبه فيسميه تدليلاً « مي ي » مسايرة منه للعصر .. وتخلصاً من الاسم العظيم الذي يمثل القيد الضابط .. ويذكر الضمير بالتزاماته أمام الله والناس ..

كما أن بعضهم قد يعمد إلى تسمية قد توقع المسمى في رذيلة الغرور مثلاً . عندما يحاول ولده أن يكون على مستوى اسمه المعروف به .. كفارس أو شجاع مثلاً فلا يمكنه . وينظر الناس إليه فلا يجدون له من اسمه نصيباً ..

ومن هنا يوصي الاسلام بالاسم الصادق في تعبيره عن فطرة الانسان .. لتكون الفطرة عوناً له على أمر الله .. وهما : حارث وهمام .

يقول إبن الجوزي معللاً ذلك :

(ولما كان كل عبد متحركاً بالارادة .. والهم مبدأ الارادة ويترتب على إرادته حركته وكسبه .. كان أصدق الأسماء : إسم همام . وإسم حارث : إذ لا ينفعك مسماهما عن حقيقة معناهما) .

والخلاصـــة :

مما تقدم تتبين لنا خلاصة توجيهات الاسلام فيما يتعلق بالاسم وذلك في أمرين اثنين :

١ ــ أن يكون حسناً .
٢ ــ أن يكون مع ذلك صادقاً .

فانظر كيف تبدأ التربية الاسلامية منذ الخطوة الأولى .. وكيف تجعل من اسم الوليد بذرة حية تؤتي أكلها كل حين باذن ربها .. في الوقت الذي تلعب الأهواء برءوس تختار من الأسماء ما يرضي الغرور ويثير الشهوات .. أو يميت النخوة ..

لكن منهج الاسلام مازال حياً .. يتقاضانا أن نذكر دائماً .. فهو طريق الحياة .. لمن أراد الحياة .

في مجــال التطـبيق :

وعلى كثرة النماذج التي اتخذت الرسول ﷺ أسوة حسنة في باب التسمية .. إلاّ أننا نختار ــ وفيما يتعلق بالأسماء ــ الزبير بن العوام ــ لنرى كيف اختار لبنيه جميعاً أسماء الشهداء من الصحابة .. لعل في هذه التسمية ما يسير بهم على طريقهم لينالوا الشهادة مثلهم ....

(يقول الزبير رضي الله عنه : إنَّ طلحة بن عبيد الله التيمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أن لا نبي بعد محمد . وإني أسمي بني بأسماء الشهداء . لعلهم أن يستشهدوا . وعلى هذه القاعدة وذلك المذهب جاءت أسماء أبنائه : فسمى « عبدالله .. بعبد الله بن جحش شهيد غزوة أحد » .. و « المنذر » بالمنذر بن عمرو الأنصاري من بني ساعدة .. وسمى « عروة » بعروة بن مسعود الثقفي و « حمزة » بحمزة بن عبدالمطلب شهيد أحد .. وسمي « جعفرا »

بجعفر بن أبي طالب الطيار . شهيد غزوة مؤتة .. و « مصعبا » بمصعب بن عمير حامل اللواء وشهيد أحد .. و « عبيدة » بعبيدة بن الحارث شهيد غزوة بدر .. و « خالدا » بخالد بن سعيد . شهيد مرج الصفر « وعمرا » بعمر بن سعيد أخي خالد . قتل يوم اليرموك) [1]

وهكذا يضع الوالد المسلم قدم ولده على طريق الجهاد منذ الخطوة الأولى .. ويرسم أمامه خير مثل يحتذى . وكان من فرط ولائه للحق حرصه على الاسم .. لعله فيه بركة .. ولعل فيه ذكرى ينتفض من خلالها من تسمى باسمه من أبنائه .. بطلاً مجاهداً .. يستحث خطاه .. لينطلق من ورائه يحمل روحه كما حمل اسمه .. ويحقق بهذه الوحدة أروع شاهد على قدرة الاسلام الفذة .. على بناء الشخصية المسلمة .

إن أفراح الميلاد لم تنس الوالد مستقبل الدعوة ودور هذا الوليد في إرساء قواعدها ..

إن الولد في تقديره يجيء امتداداً لحياة تلك الدعوة التي منحته هو عناصر الحياة .. وها هو ذا يرد إليها الجميل مبتدئاً منذ اللحظة الأولى باسم يحمل طابع الفداء .. ولون الدم .. في سبيل الله .

ولا ينبغي أن تلهينا مظاهر العظمة في هذا المشهد عن تتبع أصول هذه العظمة في نفس الصحابي « الزبير بن العوام » .. وكيف تربى صغيراً بمثل هذه الروح من قبل أمه .. فحقق الله رجاءها فيه :

---

(١) مجلة الأزهر رجب ١٣٩٤ هـ .

(كانت صفية بنت عبدالله تربي ولدها « الزبير بن العوام » يتيماً . ومن تربيتها له) ما حدث به هشام بن عروة عن أبيه قال :

إن صفية كانت تضربه ضرباً شديداً ـ وهو يتيم ـ فقيل لها : قتلتيه .. خلعت فؤاده .. أهلكت الغلام ..

قالت :

(إنما أضـربه كي يلب[١]   ويجر الجيش ذا الجلب)[٢]

فمع أن « الولد » هنا يتيم .. وعلى ما يفرضه اليتم من إغراقه بموجبات من الحنان تعوضه فراق العائل ..

إلاّ أن الأم الرءوم تضعه في البوتقة التي يخرج منها بطلاً :

ولم يكن ضربها المبرح إطفاء لنوازع الحسرة في نفسها على فراق الزوج . تصبها على ولد قد يقف حائلاً دون إستئناف حياة مع زوج غيره ؟! كلا .. ولكنها بالغريزة الأصيلة .. وبهذا الشعور البصير بعواقب الأمور .. ترى المستقبل القريب ينتظر ولدها .. ومن ثم فهي تعده لتحمل تبعاته . وإذا كان الرجال من حولها تخور عزائمهم فلا تطاوعهم أيديهم على مثل هذا اللون من القسوة الحازمة .. فقد أقام الله صفية بنت عبدالمطلب حجة عليهم بما منحها من صدق النظرة .. ونجاح التجربة .. وهي ـ كما توهموا ـ لم تقتله .. ولم تخلع فؤاده كما أنها لم تعرضه للهلاك ..

ولكنها قتلت فيه عوامل الدعة والاستسلام .. وصبت في قلبه الصغير من عزمها ما أعانه في المستقبل على تحمل مسئوليته ..

---

(١) يلب : يقوى ويشتد عوده .

(٢) الجلب : الأصوات الصاخبة ـ مجلة الأزهر رجب ١٣٩٤هـ .

ونعم .. لقد عرضته مع بنيه للموت بهذه التربية !!
ولكنه الموت في سبيل الله تعالى ..

وعندما يجيء الزبير بن العوام اليوم صورة لها فهو الشهادة التي ترتفع فوق مستوى الشك... على قدرة الأم على أن تمتد آثارها عبر المستقبل .. وأنها لو فرغت نفسها لاعداد ولدها على هذا النحو المبارك .. لكان خيراً لها ولمجتمعها من جلسة هادئة خلف « المكتب » الوظيفي .. بينما أولادها هناك في دوامة الاهمال .

ولا يفوتنا أن نسجل بهذا الموقف لصفية بنت عبدالمطلب دور المرأة العربية في ترقية الحياة بحسن تربية الولد ..

ولم تكن هذه القسوة عاطفة سائدة في صلة الأم بولدها .. بل كان الحنان أيضاً وفي الوقت المناسب يفيض به قلبها عن طريق أغنيات مازالت تتردد حتي اليوم شاهدة للمرأة باستجماعها لعناصر التربية اللازمة لنجاحها .. والتي لا بد منها لطفل يتطلع إلى الحنان غذاء يستوى به عوده ... ويصفو دمه .. فتزدهر صحته الجسمية والنفسية وقد حفل تاريخنا بهذا اللون من الأغاني :

وأول ما نتمثل به من هذا النظم الجميل ، والايقاع الرشيق ، الذي يشب الطفل وقد امتزج في لحمه ودمه بمكارم الأخلاق ، وشريف الغايات قول الشيماء أخت النبي ﷺ من الرضاع وهي تغني له في طفولته وتلاعبه :

يا ربنا أبق لنا محمدا
حتى أراه يافعاً وأمردا
ثم أراه سيداً مسودا

الغالية التي كانت تنشدها الأمهات أنغاماً تختبيء في قلب الشمس ، وفي صدر الرياح وفي سمع الزمن ، حتي تدور الأيام ، ويكبر الأبناء ويتحقق الأمل ..

لقد إستحالت الرغبة في صحوة الطفل على أجنحة الشعر الرفيع من مهده إلى مجده ـ إلى رغبة أخرى مكتئبة ، مالت في عصور التخلف إلى قمع نشاط الطفل ، وتنويمه على الكلمات الفارغة ، فمادام يشبع بثدي أمه فلا بد أن ينام .. ينام عن هموم أبويه .. ينام عن عصره وحاضره ومستقبله .. !

في الريف ترشو الأم طفلها المغترب عن زمنه لينام . إنها ترشوه علناً بزوج من الحمام ـ لا يزال طائراً في الجو ـ إذا ما أغرق في النوم .. وأما في مدينة كبيرة كالقاهرة فالأم تتملق طفلها لكى يهدأ ، ويغمض عينيه ، ويسقط نائماً في غيبوبة طويلة . إنها لا تزال تغني له في الأحياء الشعبية مثل هذه الأصوات الحزينة التي نذكرها جميعاً . والتي تطلب إلى الطفل أن يأخذ « البزة » وينام ! ! [1] .

لقد قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى :

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾

المقصود هو : الصوت الحسن .

(وقال الطب الحديث : إنَّ الصوت الحسن يسري في الجسم .. ويجري في العروق . فيصفو له الدم . ويرتاح له القلب .

---

(١) جريدة الأخبار ١٩٧٥/٢/٢٨ ـ للأستاذ أحمد موسي سالم .

وتنمو له النفس وتهتز الجوارح . ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء قبل أن يصفو ويطرب)[١] وها هي ذي المرأة العربية المسلمة تسبق الطب الحديث إلى تقرير هذه القاعدة بل إلى تطبيقها عملياً ـ بهذه الأغنيات التي وجدت من وقتها وصفاء فطرتها ما يعينها على أن تكون خطاً أساسياً في منهاج التربية الاسلامية . وأنها لتثبت بذلك أهميتها البالغة لتنشئة أولادها على أسس لاغنى لهم عنها .. في نفس الوقت الذي توقع في الاحراج كل أم معاصرة تتجاهل هذه الحقيقة التي درستها في الجامعة علماً .. حتي إذا إنخرطت في الديوان لتعمل طول يومها .. خاصمتها عملاً وسلوكاً .. حين وازنت بين مستوى الأسرة الاقتصادي .. ومستقبل ولدها النفسي والأخلاقي .. فاختارت الأول .. وتركت الولد للأعاصير تتقاذفه .. فلا يستقر على حال من القلق .. ولم تغن الفلوس .. عن إصلاح النفوس !

وهذا موضوع حديثنا فيما يلي :

الرضـــاعـة

أثبتت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن رضاع الطفل على مدى عامين كاملين ضروري لينمو نمواً سليماً من الناحيتين : الصحية والنفسية .. وهو ما سبق الاسلام إلى تقريره في قوله تعالى :

---

(١) جريدة الأخبار ١٩٧٥/٢/٢٨ .

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .[1]

وتقرر الآية الكريمة عدة أمور :

١ ـ أن الأم أحق برضاع ولدها . وهذا الحق من الثبات بحيث لا ينبغي أن يكون محل نقاش .. كما تفيد الجملة الخبرية **﴿والوالدات يرضعن﴾** .

٢ ـ أن يتكفل الوالد بالرزق والكسوة في حدود طاقته .

٣ ـ جواز دفع الوليد إلى مرضعة غير أمه بحيث تكون مكفولة الرزق والرعاية أيضاً ..

٤ ـ تختم الآية الكريمة بالأمر بالتقوى .. ولفت الأنظار إلى علم الله تعالى الكاشف عن خواطر النفوس .. الداعي إلى تكاتف الجهود ليخرج الوليد من بين المعارك الزوجية سليماً معافي .

لماذا كانت الأم أحق :

(قال السدي والضحاك وغيرهما : أى هن أحق برضاع

---

(١) البقرة ٢٣٣ .

أولادهن من الأجنبيات . لأنهن أحني وأرق . وانتزاع الولد الصغير أضرار به وبها)[١]

وهذا من الناحية النفسية التي يحرص الاسلام على مراعاتها . والتي لا يفي بحقها من الرعاية إلاّ الأم الرءوم .. وهو ما تقرره الدراسات الانسانية .

جاء في جريدة الأخبار :[٢]

(عندما يولد طفلك أسرعي إلى وضعه إلى الجانب الأيسر من صدرك .. ناحية القلب ! ومهم جداً أن يحدث ذلك في اليوم الأول :

لأن هذا الوضع سيساعد الطفل فيما بعد على الرضاعة . وعلى النوم .. وعلى عدم البكاء وعلى النمو ..

... فاذا وضعنا الطفل الصغير إلى الجانب الأيمن من صدر الأم . فانه لا ينام ولا يرضع بدرجة كافية :

فالطفل قد إعتاد وهو في بطن أمه أن يستمع إلى هذه الموسيقى الخالدة : دقات قلب الأم . فهو يتحرك وينمو على صدرها . فاذا خرج من البطن فان هذه الموسيقي ترد إليه الأمان ..

... ومن المهم جداً أن تعرف الأم أن اليوم الأول الذي تضع فيه طفلها إلى صدرها هو أهم يوم في حياة الطفل الذي اعتاد على موسيقاها وهو جنين .. وفي حاجة إلى موسيقاها وحرارتها . بعد ذلك آمنت بحكمة الله في كل شيء)

---

(١) القرطبي .

(٢) ١٩٧٣/٦/٢٨ من مقال للكاتب أنيس منصور .

اللبن .. للأم وليس للأب :

وإذا تعود الجنين على إستماع دقات قلب أمه .. وكانت مصاحبتها له بعد الولادة إبقاء له في جو ألفه من قبل .. فان قيامها بارضاعه أيضاً يأخذ نفس الأهمية .. من حيث كان غذاؤه وهو في بطنها من كيانها .. ومن المفيد أن يظل غذاؤه بعد الميلاد .. من لبنها لتمضي حياته على نسق واحد .. بلا إضطراب .

يقول القرطبي :

(واللبن من المرأة ولم يخرج من الرجل . وما كان من الرجل إلاّ وطء وهو سبب لنزول الماء منه .

وإذا فصل الولد . خلق الله اللبن من غير أن يكون مضافاً إلى الرجل بوجه ما . ولذلك لم يكن للرجل حق في اللبن . وإنما اللبن لها .)

وإذ يحمل الاسلام الوالدين مسئولية تنشئة الطفل على أسس صالحة .. فان الأم تتحمل نصيبها الأوفي من هذه المسئولية .. لما سبق .. ولما يقرره الدين والعلم من الأهمية القصوى للبن الأم في أعقاب الولادة .. وهو ما يسمى « المسمار » .

وقد سبق الاسلام إلى تقرير هذه الحقيقة المهمة فيما يقول إبن كثير تفسيراً للآية الكريمة :

(﴿**لا تضار والدة بولدها**﴾ أى لا تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته . ولكن ليس لها دفعه إذا ولدته حتي تسقيه «اللبأ» أول ما يحلب عند الولادة الذي لا يعيش بدون تناوله غالباً ثم بعد هذا لها دفعه عنها إذا شاءت ولكن إذا كانت مضارة لأبيه فلا يحل لها ذلك)

وقد اهتدى الطب الحديث إلى تقرير أهمية لبن المسمار في قول الدكتور محمد يونس :

(ومن المعروف أنه قبل إدرار اللبن ينزل سائل أصفر « لبن المسمار » وهو مفيد جداً للطفل من حيث تغذيته وتليين امعائه)[1]

وفي بيان أكثر تفصيلاً يقول :

(فوائد لبن المسمار وبخاصة في الأيام الأولى كثيرة جداً :

١ ـ يلين أمعاء الوليد .

٢ ـ يحتوي على نسبة لا بأس بها من الأجسام المضادة للميكروبات .

٣ ـ له قيمة غذائية كبيرة من حيث البروتين .

والغريب أن تكوينه بما يحويه من نسبة عالية من البروتينات يتفق مع قدرة الوليد على الهضم في الأيام الثلاثة الأولى من ولادته)[2]

وربما كان ذلك كاشفاً عن مدى الصلة العضوية بين الأم ووليدها حتي لا تتركه لغيرها . كما أن اهتداء الطب الحديث إلى هذه الحقيقة الاسلامية ـ وما أصدق ما يقرره الاسلام ـ يفرض على الباحثين استلهام روح الاسلام في كل ما يتعرضون له من أبحاث . وسوف يمنحهم الدين من لدنه شعاعاً كاشفاً يبصرهم بأقوم طريق لاعداد جيل المستقبل .. في الوقت الذي يحسون فيه بالزهو إزاء ما يقرره الاسلام من حقائق .. ينسبها الباحثون إلى غير مصدرها بينما

---

(١) مجلة طبيبك الخاص أغسطس ١٩٧٣ .
(٢) الاهرام ١٩٧٤/٣/٢٤ بتصرف .

هي بنت الاسلام .. ولا أب لها سواه . فالقاعدة إذن أن ترضع الأم وليدها .. وما عدا ذلك فهو الاستثناء . وفي الآية دليل عليه . فيما إذا اتفق الوالدان على ذلك شريطة أن يفي الطرفان بكل التزاماتهما تمهيداً لاعداد الطفل بعيداً عن المشاكل التي تترك آثارها عليه حتماً :

خصائص لبن الأم

تعبر آية البقرة عن الأمهات بلفظ « الوالدات » . إثارة لغريزة الأمومة . وإستنهاضاً لهمة ينبغي ألا تغفل لحظة واحدة عن وليدها . لأنه جزء منها . وعن الصلة الوثيقة بين الأم وولدها . يقول سبحانه في سورة الحج :

﴿يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ..﴾

فقد ذكر الأم بوصف الارضاع الذي يمثل قمة الترابط بينهما .. وأن هذا الترابط لا تخف حدته بحال إلاّ ساعة العسرة . وحين يفر المرء بنفسه من أهوال يوم القيامة .

وإذا كان القرآن الكريم يلفت النظر بقضاياه العامة لينطلق الفكر باحثاً عن حكمة التشريع .... يقترب منها وإن لم يسبر غورها .. فاننا ـ وفي هذا الموضوع بالذات ـ نتجه إلى الطب الحديث نستفتيه ليقف بنا على أسرار لبن الأم . وأهميته في تكوين شخصية الطفل .. وما في الرضاعة الطبيعية من مصلحة تعود على الولد والوالدة معاً ..

(وفي حديث مع الأستاذ الدكتور فتحي الزيات رئيس قسم « الفسيولوجيا » بكلية الطب جامعة الأزهر) :

أبان سيادته أن لبن الأم يفوق الألبان الحيوانية والألبان الصناعية من زوايا عديدة منها ما يلي :

١ ـ أن لبن الرضيع يحتوى على نسب متوازنة من غذاء الرضيع تتلاءم مع إحتياجاته . وتلتقي مع احتياجات الرضيع في فترات الرضاعة المختلفة متمشية مع نموه .

٢ ـ إنه يحتوي على مواد « بروتينية » تكسب الرضيع قوة ومناعة ضد بعض الأمراض التي تحصنت منها الأم في الشهور الأولى من عمره .

٣ ـ أن هذا اللبن لا يتعرض للتلوث . حيث أنه يخرج من الأم إلى الطفل مباشرة .

٤ ـ إنه يقرب الاتصال النفسي بين الطفل والأم الرضيع . وبهذا ترسخ عاطفة الأمومة والبنوة بالرباط المتين الصادق الصحيح .

٥ ـ أن لبن « المسمار » الذي تفرزه الأم في الأيام الأولى من الرضاع يعمل على تنشيط الامعاء لدى الطفل . فيحدث اللين المناسب لدي الطفل ويساعد على عملية الاخراج الطبيعية .

٦ ـ وأما من ناحية الأم :

فان عملية الرضاع تعجل وتستكمل عملية عودة الرحم إلى حجمه وحالته الطبيعية .

ومما سبق : يتبين بكل جلاء ووضوح أن الرضاعة لها أهمية

كبرى لحماية الأم والرضيع من الوجهة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والانسانية .

ومن هنا يكون الحرص على سلامة الأم في هذه الفترة حرصاً على الرضيع ذاته . وتوفيراً للمناخ الملائم تمام الملاءمة لنموه الطبيعي)[1]

وكيف لا وهو تدبير الله سبحانه الذي نؤمن به وبدينه وما جاء به مما يصلح به أمر الانسان وهو ما أكده البحث العلمي المستنير .

ويمكننا بعد ذلك أن نقول : إنَّ إرضاع الأم ولدها عامل مهم يعقد بينهما أوثق الروابط .. وبالتالي يمهد الطريق إلى أسرة متماسكة قوية البناء فالأم بذلك ذات دور خطير .

فاذا ما تحملت مسئوليتها في رضاعته ونظافته .. ساعدت في إعداده روحياً ومادياً على نحو يمكنه من التدين الصحيح .. والتعامل مع الناس في الاطار السليم الذي رسمه الاسلام .

ولعل مسئوليتها تلك هي التي رفعت منزلتها . وجعلت لها على الولد من الحقوق ما ليس لأبيه ..

وإذا كان من حق الأم شرعاً أن تتخلى عن إرضاع ولدها .. فان من واجب الأب أن يتولى الانفاق عليها ليصبح إرضاعها أمراً ممكناً .. ولازماً في نفس الوقت .. ويحرص الاسلام على ذلك حرصه على مستقبل الرضيع .. إلاّ إذا وجد الزوج في ذلك خطراً على صحة زوجته أو جمالها .. فان الأمر حينئذ يخضع لمصلحة البيت

---

(١) د . محمد الأحمدي أبو النور ـ منهج السنة في الزواج ٤٢١ وما بعدها .

بعامة :

وفي مثل هذه الظروف تتبدى حكمة الاسلام الذي لا يرى مانعاً من الحفاظ على صحة الأم هنا .. لا تهاوناً بأمر الطفل .. بقدر ما هو صيانة للوالد أن يحس بالفراغ .. في جوار زوجته لا تملأه .. وما قد يترتب على ذلك من تطلع إلى سواها .. الأمر الذي تكون له آثاره على الولد حتماً .. في بيت أبيه مع زوجة أخرى .. أو مع أمه إذا ما حدث الطلاق .

وإذا كانت إستشارة الطبيب المسلم الحاذق مبدءاً معمولاً به في مجال التشريع .. فانه بالاضافة إلى ما سبق من بيان إمتياز لبن الأم وبالتالي أهمية توليها عملية الارضاع ـ يمكننا أن نضيف إلى ذلك ما يقرره الطب من ضرورة عناية الأم بغذائها :

إن لبن الأم نعمة كبرى تنال الأم والولد معاً .. ومن واجب النعم أن تقابل بالشكر .. وأعلى صور الشكر لنعمة الله تعالى أن تباشر على نحو يحقق الغرض منها .. بأن تحافظ المرضعة على مستوى غذائها لينتقل إلى ولدها عصارة صالحة لغذائه وفي ذلك يقول الدكتور محمد سمير يونس :

(لبن الأم مهم جداً بالنسبة للطفل الرضيع . بل هو نعمة من نعم الله على كل مرضعة . وحتى تحافظ عليه فإنه يلزمها تناول غذاء معتدل . به كميات كافية من البروتينات والدهنيات)[١] .

وتلك مسئولية الأب المكلف بتوفير الغذاء لها ليعود إلى ولده

---

(١) مجلة طبيبك الخاص أغسطس ١٩٧٣ .

مستجمعاً لكل عناصره .

ثم يقول في نفس المقال :

(ويجب حتي يظل إدرار اللبن مستمراً أن تبتعد الأم عن القلق والخوف والانفعال والاضطراب النفسي . فان هذا من شأنه أيضاً أن يؤثر على كمية اللبن) .

فأنت ترى الطب الحديث يحرص على جيل المستقبل فيضع الضوابط الكفيلة بتحقيق سعادته .. وذلك فيما يوصي به من القواعد الآتية المرتكزة على منهج الاسلام :

١ ـ ضرورة قيام الأم بارضاع ولدها .

٢ ـ أن تتم عملية الرضاع بنظام دقيق .

٣ ـ توفر العناصر الكافية لغذاء الأم .. تمهيداً لتلبية إحتياجات الطفل الجسمية .

٤ ـ ضرورة الحفاظ على الاتزان العاطفي لينشأ الطفل سليم الجسم معتدل المزاج .

مدة الرضاعة

يقول سبحانه وتعالى :

﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ...**﴾ ولقد نستنتج أن الوصول بالرضاعة إلى تمامها مبدأ شرعي . وهو وثيق الصلة بصحة الطفل . حيث يأخذ حقه من هذا الغذاء في المدة التي يكون مفيداً له .. وهي تمام الحولين .

وإذا ثبت أن لبن الأم أنفع له فان نزعه من ثدي أمه في وقت

مبكر حفاظاً على نضارة الأم مثلاً واستغناء بغذاء مجلوب . تقصير في حقه وعزل له عن مصدر قوته ومنعته . في وقت تنمو فيه أعضاؤه .. وتتشكل طباعه ..

ولأن لبن الأم عامل مهم خلال هذه المدة إرتبط به التحريم دون ما يحدث بعد ذلك :

(عن إبن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لا يحرم من الرضاع إلاّ ما كان في الحولين)[1] و (لا رضاع إلاّ ما كان في الحولين)[2] .

والأمر أولاً وأخيراً موكول إلى تقدير الوالدين وإجتهادهما في إطار توجيه الاسلام توخياً لصحة الولد :

وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قوله سبحانه : (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فتمام الرضاعة وكمالها المحقق غرضها أن تكون حولين كاملين .. فاذا رؤى إختصار المدة فمن مصلحة الطفل أيضاً :

(فمن الأطفال السريع النمو . الذي يستغني عن اللبن بالطعام اللطيف قبل تمام الحولين بعدة أشهر . ومنهم القميء البطيء النمو . الذي لا يستغني عن ذلك)[3] . وهذا موافق لما ذكره الخطيب الشربيني في قوله تفسيراً للآية الكريمة :

(هذا منتهى الرضاع . وليس فيما دون ذلك حد محدود . إنما هو على مقدار صلاح المولود وما يعيش به)

---

(١) رواه بن كثير .
(٢) زاد المعاد ج ١٦٧/٤ .
(٣) تفسير المنار ٣٢٥ .

ولأن الأمر يجري على قدر . ويستهدف غاية هي صحة الطفل .. فان الزيادة في الرضاعة كالنقص فيها .. كلاهما يضره : وقد ذكر بن كثير :

(أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد في بدنه أو عقله . وقد قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة : أنه رأى امرأة ترضع بعد الحولين فقال : لا ترضعه)[1]

ومازال أهلنا في الريف يضيفون إلى بعض الغلمان صفات معينة .. يردونها إلى طول مدة رضاعه .

على أن تنظيم عملية الرضاعة وثيق الصلة أيضاً بمستقبل الوليد .. لأنه أخذ له منذ أيامه الباكرة بحب النظام .. يكون في النهاية مدخلاً إلى ربطه بالحياة على نحو جاد يفطمه عن كثير من شهواته . ويلقي في روعه من أول لحظة معني الحياة الجادة المستقيمة .. ومن خلال ذلك تتكون عاداته التي سيتعامل بها مع مجتمعه .

فاذا أساءت الأم إستعمال وظيفتها تلك .. فاستخدمت الرضاعة لكفّه عن عمل ما .. كان ذلك سبيلاً إلى إهتزاز بنيانه الأخلاقي بعد .. يقول الدكتور مصطفي فهمي ـ نقلاً عن الدكتور المليجي :

(يجب تنظيم الرضاعة : والتنظيم يقتضي ألا نقدم الثدي للطفل حسب طلبه . أو حين نريد إسكاته عن البكاء لسبب غير الجوع . لأن معني ذلك أن نعوده على أن يتخذ البكا وسيلة لاشباع

---

(١) ابن كثير ٣١٨ .

رغباته . ومن ثم يتعلم العناد)[1]

الظئر *

بعد أن قال الاسلام كلمته مؤكداً أهمية إرضاع الأم وليدها .. وبعد أن كشف العلم الحديث عن فوائد ذلك .. يحق لنا أن نتساءل :

هل يجوز أن يجلب للطفل مرضعة أخرى غير أمه ؟

يقول القرطبي :

(في الآية دليل على جواز اتخاذ الظئر إذا وافق الآباء والأمهات على ذلك .... والأصل أن كل أم يلزمها رضاع ولدها كما أخبر الله عز وجل . فأمر الزوجات بارضاع أولادهن . وواجب لهن على الأزواج النفقة والكسوة والزوجية قائمة ...

... إلاّ أن « مالكاً » رحمه الله . دون فقهاء الأمصار استثني الحسيبة فقال :

لا يلزمها رضاعة . فأخرجها من الآية الكريمة وخصصها بأصل من أصول الفقه وهو : العمل بالعادة . وهذا أصل لم يتفطن له إلاّ مالك . والأصل البديع فيه :

أن هذا أمر كان في الجاهلية في ذوي الحسب . وجاء الاسلام

(١) سيكلوجية الطفولة والمراهقة ٤٣ .

* الظئر ـ بكسر الظاء وسكون الهمزة : الناقة تعطف على ولد غيرها . ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها : ظئر . وللرجل الحاضن ظئر أيضاً والجمع أظآر مثل حمل وأحمال « المصباح المنير » .

فلم يغيره . وتمادى ذوو الثروة والأحساب على تفريغ الأمهات للمتعة بدفع الرضاع للمراضع إلى زمانه . فقال به وإلى زماننا فتحققناه شرعاً)

وما ذهب إليه الامام مالك لا ينبغي أن ينسينا واجب الرعاية للطفل وتقديم مصلحته على المتعة الشخصية ..

وما يحققه الزوج من فائدة لولده أربي في ميزان العدل من إيثاره متعة تزول سريعاً .

الدقة في إختيار المرضعة :

إذا كانت الأم تحب ولدها بفطرتها .. ولا تحس بكلفة أو معاناة حين تبذل في سبيله من جهد ووقت .. فان الأمر يختلف حين يعيش في أحضان امرأة أخرى غير أمه .

ومعلوم أن دفع الوليد إلى مرضعة أجنبية إجراء هو إستثناء من القاعدة .. ومن هنا كان لا بد من الدقة في اختيار الأجنبية التي تفرض عليها الظروف أن تتحمل مسئولية إرضاع طفل لا يعنها طبعها على التجاوب معه . على مستوى الأم الحقيقية .

يقول الامام الغزالي :

(ينبغي أن يراقبه ـ أي ولده ـ من أول أمره . فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلاّ أمرأة صالحة متدينة . تأكل الحلال . فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه .

فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث ـ فيميل

طبعه إلى ما يناسب الخبائث)[١]

ويعبر الامام بهذا القول عن وجهة النظر الاسلامية في حسن إستقبال الوليد . وبخاصة في هذا العمر الباكر . لما للحركة اليسيرة من أهمية في تكوين شخصيته .

فليقدم الوالدان لطفلها بتناسي خلافاتهما .. وإذا جاز لهما دفع الوليد إلى أخرى .. فان ذلك يجيء بعد أن يستحيل قيام الأم بدورها لأسباب فرضها النزاع الطارىء .. على أن يكون معلوماً أن ذلك إجراء إستثنائي كما قلنا .. ينبغي أن يتوقاه الأبوان .. اللذان يهز القرآن ضميريهما في آية أخرى مبيناً أن تغليب الشقاق على مصلحة الولد لن يتركه وحيداً .. بل إنَّ امرأة أخرى لم تلده .. سوف تقوم بارضاعه .. كما يفهم من قوله سبحانه وتعالى :

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[٢]

يقول الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة :

(وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى : سيقضيها غيرك . تريد : لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم) وإنما اتجهت المعاتبة إلى الأم بخاصة لارتباطه العضوي بها وكون اللبن ـ وهو غذاؤه من ذاتها وليس من قبل الأب .

---

(١) الاحياء ج ٧١/٢ .
(٢) الطلاق ٦ .

الأمر الذي يفرض عليها تخطي كل عقبة . من أجل أن يظفر إبنها برعايتها . ويتغذى بلبنها .

إن حاجة الطفل إلى أمه .. لا تقتصر على توفير الغذاء .. فله أيضاً حاجته إلى الأمن والحب والاستقرار . عن طريقها .

فاذا لم تسمح الظروف بذلك وتعيّن دفع الرضيع إلى مرضعة أخرى .. فان الاسلام لا يتركه للظروف المتقلبة . بل هو دائماً مع الوالدين بالتوجيه والترشيد .. ذلك .. ليمكن التوفيق إلى مرضعة تتمتع بخصائص إنسانية تملأ الفراغ الناشىء عن فقدان الأم أو تكاد :

فقد يكون لبن الظئر ـ المرضعة ـ غير مناسب له .. بأن كان في مرحلة أكبر من سنه أو أصغر .. وحينئذ فلا يحقق غرضه في تكوين بنيته على أكمل وجه :

وقد نبه العلماء إلى ذلك .. كما جاء في تفسير المنار معللاً أهمية بقاء الوليد في أحضان أمه :

(لأن لبن الأم أنفع للوليد من لبن الظئر . وخاصة إذا لم يكن ولد الظئر في مثل سنه)[1]

ومن ناحية أخرى فان نسبة الحنان اللازم لصحة الطفل لا تكون بالقدر المناسب .. بالاضافة إلى قصره على رضاع وجبات من لبن آخر غريب لم يألفه من قبل ..

وتوفيراً لهذا الحنان المطلوب يوصي الاسلام بحسن معاملة

---

(١) المنار ٣٢٥ .

المرضع حفاظاً على مزاجها . وطلباً لرعايتها الكاملة ..

(لأن المرضع إذا لم تعامل المعاملة الحسنة المرضية بأخذ أجرها تاماً لا تهتم بمراعاة الطفل . ولا تعني بارضاعه في المواقيت المطلوبة . وبنظافته . وسائر شأنه .

وإذا أوذيت بتغير لبنها . فيكون ضاراً بالطفل)[1]

وتغير مزاج المرضع بالغضب أو الحزن وتأثيره في خلق الولد .. يفسر كيف كان الاسلام أشد تحذيراً .. وأشدَّ سهماً .. حين يوصي باختيار المرضعة الصالحة العادلة .. ليمكنها أن تكون مصلحة له .. وأن تعدل في معاملته .. بعد أن يعتدل ضميرها . ولقد (نهى رسول الله ﷺ أن تسترضع الحمقي فان اللبن يشبه أى يورث شبها بين الرضيع والمرضعة . وعند ابن حبيب : يعدي بدل يشبه . إذ العادة جارية أن الرضيع يغلب عليه أخلاق المرضعة من خير وشر .. ومن حديث ابن عباس : « الرضاع يغير الطباع » أى يغير الصبي عن لحوقه بطبع والديه إلى طبع مرضعته لصغره . ولطف مزاجه . والمراد : حث الوالدين على توخي مرضعة طاهرة العنصر . زكية الأصل ذات عقل ودين . وخلق كريم)[2] فاذا وجدت بهذه الخصائص كان ذلك زاداً كريماً من الأخلاق يعوضه ما فات من حدب الوالد . وحنان الأم .. قبل أن يجرفه التيار بعيداً عن أمه وأبيه فلا يكون امتداداً لحياتهما .

وللأمام محمد عبده كلام مفيد نثبته هنا :

---

(١) المنار ٣٢٩ .

(٢) المواهب اللدنية ج ١٨٩/٧ .

قال : (جاء الأمر الإلَهي بارضاع الأمهات أولَادَهُن على مقتضي الفطرة . فأفضل اللبن للولد لبن أمه باتفاق الأطباء .

أى لأنه قد تكون من دمها في أحشائها .. فلما برز إلى الوجود تحول اللبن الذي كان يتغذى منه في الرحم إلى لبن يتغذى منه في خارجه . فهو اللبن الذي يلائمه ويناسبه .

وقد قضت الحكمة بأن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه ولذلك كان مما ينبغي أن يراعى في الظئر أن تكون سن ولدها كسن الطفل التي تتخذ مرضعاً له .

وقال الأستاذ الامام :

إن لبن المرضع يؤثر في جسم الطفل . وفي أخلاقه وسجاياه . ولذلك يحتاط في إنتقاء المراضع . ويجتنب إسترضاع المريضة والفاسدة الأخلاق والآداب . ولكن لا يخشي من لبن الأم وإن كان بها علة في بدنها أو في أخلاقها . لأن ما يأخذه من طبيعتها فانما يأخذه وهو في الرحم . فاللبن لا يزيده شيئاً . وهذا الذي قاله هو الأصل .

وهو لا ينافي أن تمنع الأمهات من الارضاع أحياناً لسبب عارض في البدن أو النفس وهذا نادر . وأما التدقيق في صحة المرضع وفي أخلاقها فيجب أن يكون مطرداً إذا كانت ظئراً لا أماً .

قال :

اللبن يخرج من دم المرضع ويمتصه الولد فيكون دماً له ينمو به اللحم . وينشز العظم . فهو يشرب منها كل شيء من حسن وقبيح .

وقد لوحظ أن من يرضع من الأتان يغلظ قلبه . وكذلك لبن كل حيوان يؤثر على حسب حاله . ولكن حياة الانسان نفسية عقلية أكثر مما هي بدنية . فجسمه مسخر لشعوره وعقله .

لذلك كان تأثيراً لانفعالات والصفات من المرضع في الرضيع أشد من تأثير الصفات البدنية . وقد لاحظنا أن صوت المرضع قد ظهر في الولد الذي كانت ترضعه . فكيف بآثار عقلها وشعورها وملكاتها النفسية ؟ وقد نبه الفقهاء على هذا المعنى وحكاية امام الحرمين فيه معروفة)[1]

اللبن الصناعي :

هل يمكن أن يصير اللبن الصناعي بديلاً للبن الأم ؟

سؤال يفرض نفسه :

ومع وضوح وجهة نظر الاسلام الداعية إلى توخي مصلحة الطفل .. إلاّ أننا مضطرون إلى الاستفادة بما وصل إليه بعض الباحثين في هذا المجال على سبيل الاستئناس أولاً ..

وثانياً لأن الحجة تقوم على المقلدين من جهات يثقون بها .. إذ الدليل ينهض من قبل كتاب عصريين تقدميين .. لو نسبت أقوالهم إلى من يمثلون وجهة النظر الاسلامية لكانت الرجعية أبسط التهم !

وسوف نبدأ بموضوع التغذية الصناعية .. وهل تصلح بديلاً يغطي إحتياجات الطفل ...

---

(١) راجع تفسير المنار للآية الكريمة ٣٢٩/٣٣٠ .

وفي الاجابة عن هذا السؤال نقرأ نداء صادراً عن هيئة الصحة العالمية تقول فيه :

(على كل أم أن تقوم بارضاع طفلها . لأن لبن الأم أفضل للطفل . وأنه يخفض نسبة الوفيات بين الأطفال . ويقدم إلى العالم أجيالاً ذات صحة ممتازة)[1]

ثم عززت الهيئة نداءها محذرة : أن التغذية الصناعية ستكلف العالم أثماناً باهظة فضلاً عن أنه يجفف المنبع الأصيل الذي أسالته القدرة الالهية في كيان المرأة :

(تحذير للأمهات من التغذية الصناعية للأطفال .. لا يوجد بديل كامل يعوض عن لبن الأم) :

حذرت هيئة الصحة العالمية من الاعتماد على التغذية الصناعية للأطفال . أكدت الهيئة أنه لم يتم حتي الآن[2] التوصل إلى غذاء للأطفال يساوي في قيمته الغذائية والصحية لبن الأم .

وقالت الهيئة إن الرضاعة الطبيعية هى أفضل طعام للرضيع . لقيمتها الغذائية . وكوسيلة للوقاية من الأمراض .

وأعلنت أن ظاهرة الانصراف عن الرضاعة الطبيعية قد بدأت في العالم الغربي . وإنتشرت في البلدان النامية . وأصبحت مشكلة من المشكلات الكبرى . لأن لبن الأم غذاء فريد وغير ممكن تقليده . وذكرت الهيئة أنه نتيجة للتحول الشديد في الرضاعة الصناعية . فان على الدول النامية : أن تستعد لمواجهة مشاكل

---

(١) الجمهورية ١٩٧٣/٣/٨ .
(٢) .. وبعد الآن كما يفيد التقرير نفسه من تفرد لبن الأم بفائدة لا تعوض .

التمويل القومي . وتدبير النقد الأجنبي اللازم للتغذية الصناعية للأطفال .

كما يجب على العالم أن يبحث عن الوسائل اللازمة لزيادة الأنتاج كبديل للبن الأم يكون غنياً بالبروتين .

وأشارت الهيئة إلى أنه إذا حدث أن توقفت جميع سيدات القارة الآسيوية « على سبيل المثال » عن إرضاع أطفالهن رضاعة طبيعية فان معني ذلك أنه لا بد من تدبير قطيع من ماشية الألبان يبلغ ١١٤ مليون رأس لتمويل النقص في تغذية الأطفال بصورة كافية .

وقالت الهيئة : إنَّ نصف أطفال العالم يعانون من سوء التغذية وبخاصة في السنة الثانية من العمر خلال فترة الفطام .

وكثيرون منهم مصابون بالأمراض المميتة . ويرجع السبب في ذلك أساساً إلى نقص « البروتين » والسعرات الحرارية وغيرها من المواد المغذية بما في ذلك المعادن والفيتامينات . وجميع هذه المواد تتوافر في لبن الأم الذي لم يتوصل العالم حتي الآن إلى إنتاج غذاء يعادله (١)

خطــر المــوت .

ويحذر الدكتور أحمد قطب مدرس طب الأطفال بكلية طب قصر العيني فيقول : (إلى وقت قريب كانت هناك مشكلة الأطفال

---

(١) الجمهورية ١٩٧٣/٣/٢٦ .

الذين يفاجئهم الموت . دون سابق إنذار . وقد ظل الأطباء يبحثون علة هذه الظاهرة لسنوات . إلى أن اكتشفوا أن سببها هو التغذية الصناعية)[1]

وفي هذا العام :

(اختارت هيئة الصحة العالمية موضوع الغذاء شعار يومها العالمي لهذا العام .. والشعار هو :

(الغذاء أفضل .. من أجل حياة أوفر صحة ..)

وقد قدم دكتور « اديدالي » أستاذ التغذية بجامعة أبادان بنيجيريا بحثاً رائعاً عن أهمية الرضاعة في مأساة التغذية بالشرق الأوسط حيث إن لبن الأم هو الغذاء الطبيعي المتكامل المتاح للطفل في شهور حياته الأولى .. والذي يمكن أنِ يحمي الطفل من مشاكل عديدة .. ولكن اتجاه الأم إلى العمل وتقليدها لنساء الغرب .. ولنساء الطبقة المرفهة جعلها تنبذ الرضاعة الطبيعية .. وتحاول الأخذ بالرضاعة الصناعية مما جعل الطفل أكثر عرضة لأمراض سوء التغذية . وإن وجد من جانب آخر العقاقير التي تنقذ حياته .. والنتيجة : حياة معتلة جسمياً وعقلياً)[2]

وقد يكون من المفيد أن نوجز بحثاً قامت باعداده محررة بالاهرام في ١٩٧٤/٣/٢٤ تزداد به حجة الحق وضوحاً .

والتحقيق بعنوان :

(ظاهرة تواجه الأم العاملة المصرية :

---

(١) الجمهورية ١٩٧٤/١٠/١٥ .

(٢) الجمهورية ١٩٧٤/٤/٦ .

طفلها لا يجد الآن لبناً طبيعياً يرضعه . لماذا ؟ وما هو الحل الذي يمنع شبه كارثة للطفل والأم معاً)

تقول : هل هو زواج المرأة العاملة في سن متأخرة ؟

هل هو تعقيد الحياة اليومية ؟

أم يكمن في حيرتها وربكتها أثناء العمل على طفلها ؟

وهل هو سوء المواصلات وأثره في الأعصاب . أم أن السبب : كل هذه العوامل مجتمعة ؟

(إن المرأة ترضع طفلها من خلال عقلها ـ ومعني ذلك : أن الحالة النفسية كما يقول الدكتور « فاروق قورة » أستاذ طب الأعصاب بجامعة القاهرة ... تعتبر عنصراً أساسياً لنجاح الرضاعة .

وطبعاً . الأم العاملة العصرية .. تنام وتقوم وسط متاعب الحياة . والوظيفة . وتبدأ من الصباح يومها . وبسبب متاعب العمل . والعودة والذهاب للعمل .. ينتهي الأمر بجفاف اللبن نهائياً . والضحية طبعاً .. هو الطفل !

وإذا لجأت إلى المهدئات . وبخاصة بعد الولادة وفي أعقاب الحمل . وإرهاقه المضاف لمتاعب العمل . ترك ذلك أثره على الطفل .

كما نقلت المحررة مثل ذلك عن الدكتور محمد سمير يونس رئيس قسم أمراض النساء بالقصر العيني .

مثلاً : (كثير من الأدوية المنومة في لبن الأم . مما يؤدي إلى خمول الطفل . وبالتالي لا يستطيع إمتصاص اللبن من ثدي الأم طبيعياً . مما ينقص كميات اللبن حتي يجف تماماً ثم تنقل عن الدكتور

نبيل يونس قوله :

١ ـ الضوضاء من أسباب قلة إدرار اللبن . ثم جفافه إن زادت . بينما النغمة المريحة تساعد في إدراره .

٢ ـ الوجود في مكان مغلق مدة طويلة يقلله أيضاً !)

وهكذا يدورون حول المشكلة .. وتخونهم الشجاعة الأدبية فلا يواجهونها بما يليق بها من حزم .

إنهم يزعمون أن العمل .. أى عمل حق مشروع للمرأة .. وعلى هذا الأساس يقترحون ..

لكنهم لا يصلون إلى حل حاسم .. لأنهم يستبعدون الاسلام وهم يحددون طبيعة عمل المرأة وأهدافها .. وقد يفصحون أحياناً فيرمون الاسلام بتهمة عزل المرأة عن الحياة الجادة .. ويجب أن يعلموا أن الاسلام يرفض العمل الذي يذهب بصفاء الأسرة وأمنها وسلامة أطفالها .

فمستقبل الأولاد أثقل في ميزانه من كل اعتبار ولوكان هو زيادة الدخل المزعوم .

لقد كسبت المرأة العاملة ثروتها .. ولكنها خسرت نفسها . وكان مثلها كمثل التاجر الذي يملك ثروة تقدر بألوف الجنيهات .. لكنه مدين للآخرين بالملايين ؟

وهذه الحكم التي يقررها الاسلام .. لا نقدمها للمعاندين والمعاندات ... إن الحكمة تنبت في الأرض السهلة .. وليس على الحجر الأصم ..

ومن هنا فنحن نقدم النصيحة للأرض السهلة .. المستعدة

شاهد من بني إسرائيل على أهله !

لقد دافع إبليس عن نفسه أمام الله تعالى فقال :

﴿لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾(1)

وعلى هذه النظرة المادية للانسان أقامت الوثنية نظرتها إليه وعلى أساسها أيضاً قامت الحضارة الغربية التي تتعامل مع الطفل على أنه كائن عضوي .. مادي . مجرد من الخصائص الروحية المتطلعة إلى الاشباع ..

ومن ثم تقاصرت نظرتها إليه .. فكان كل همها أن توفر له حاجاته العضوية بما إستحدثت من أمور صناعية .. ومنها ذلك اللبن الصناعي الذي حسبته غاية المراد في تنشئة الطفل .. وكما نظر إبليس إلى آدم على أنه حفنة من تراب .. كذلك تعامل الغرب مع الوليد مقتنعاً بكفاية حفنة من اللبن الجاف .. لسد حاجات فوق ما تشاهده العين المجردة . وهيهات .. وذلك سر فشل الحضارة الحديثة في تحقيق الأسرة المتماسكة .. بعد أن ضلت الطريق منذ الخطوة الأولى .. فعز عليها بعد ذلك تلافي ما أحدثت من فساد .. فتنادت بالخطر يطل على العالم من كل أفق .

ولم تكلف نفسها أن تصيخ السمع إلى نداء الاسلام الذي أثبت .. ومازال يثبت جدارته في إعداد جيل قوي أمين ..

لقد نجح في وضع الأساس المتين للطفل .. وفي صدق النظرة إليه : أن الاسلام يتعامل معه ككائن عضوي ونفسي معاً ..

---

(1) الحجر ٣٣ .

وإذا كان للجسد حاجاته . فللنفس أشواقها الرامية إلى الكمال .. ولا بديل للأم في توفيه حاجاته تلك .. مهما إستحدث الناس من أمور يحاولون بها ملء فراغها .

وقد مر بنا أثر الأم المضاعف في تربية ولدها .. الأمر الذي يجعل من ملازمته في حياته الباكرة ضرورة لا مفر منها .

وكل محاولة للتوفيق بين عمل المرأة .. ومستقبل ولدها لا بد أن تضيع سدى وتبقى المشكلة كما هي .. بل إنها لتتفاقم مع الأيام طالما لم نكن مقتنعين بأهمية الحاجات الروحية للولد .. وما لها من خطر في حياته .. وهو المعني الذي يتعامل الدين على أساسه مع الطفل .. وإذا عز على المعترفين بأهمية رضاع الأم من الأجانب أن يردوا ذلك إلى الاسلام ..

وإذا فات المسلمين أن يعرفوا ما في هذه العودة إلى دينهم من ذكر لهم ولقومهم فان الواقع صارم دائماً .. يفرض نفسه .. وإن تجاهله الناس .

الحضـــانة

ضـــرورة الأســـرة :

بعيداً عن الأسرة .. لا يمكن للطفل أن يستجمع كل دقائق العلاقات الاجتماعية .. التي لا تتم في ظل الأسرة .. وتحت إشراف الوالدين معاً ..

وبالتالي .. فان أى خلل يحلق دور الأسرة ينعكس أثره على الحياة الاجتماعية .. لأن الطفل المحروم من العيش في ظل أسرة

سوية .. سوف يفشل في التعامل مع غيره .. من حيث فقد خميرة النجاح في هذا التعامل يوم أن عزل عن منبته الأصيل .. وكل محاولات المدنية الحديثة الرامية الى إعداد محضن صناعي يعوض الطفل ما فاته إنما هي إستثناء من القاعدة وهي : ضرورة الأسرة .. دائماً . وهو الأمر الذي لفت الاسلام أنظارنا إليه بقوة .. وأيدته أيضاً تجارب الباحثين القائلين : إنَّ الأسرة (هى العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة في المراحل الأولى للطفولة . ولا تستطيع أية مؤسسة عامة أن تسد مسد المنزل في هذه الشئون .

ولا يقصد من دور الحضانة أو الكفالة التي تنشئها الدولة والهيئات لايواء الأطفال في مراحلهم الأولى إلاّ تدارك الحالات التي يحرم فيها الطفل من الأسرة أو تحول فيها ظروف قاهرة بين الأسرة وقيامها بهذه الوظيفة .

ولا يتاح لهذه المؤسسات مهما حرصت على تجويد أعمالها أن تحقق ما يحققه المنزل في هذه الأمور .

وعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة . بل المراحل التالية لها كذلك .

وفي الأمم التي تسير معاهدها الدراسية على نظام الحياد في شئون الدين والأخلاق الدينية فتنقض يدها من جميع الأمور التي تتصل بهذه النواحي . كفرنسا والأمم التي نحت نحوها .

في هذه الأمم . وفي تلك يقع عبء التربية الدينية كاملاً على عاتق الأسرة وحدها . وبفضل الحياة في الأسرة يتكون لدي الفرد

الروح العائلي والعواطف الأسرية المختلفة . وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة .

فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيواناً مدنياً . وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت)[١]

وهكذا تفعل غرائز الجنس ـ وحب البقاء .. والأبوة . والأمومة .. فتحفظ على الأسرة كيانها في ظل من رعاية الله سبحانه .. الذي أناط بها هذا الدور .. إن هذه الدوافع التي تقف من وراء تماسك الأسرة يبذلها الوالدان طبعاً لا تطبعاً .. فطرة الله التي فطر الناس عليها . ولا تبديل لخلق الله .

ومن ثم .. فهي العامل الوحيد الذي تسلم به من تقلبات الزمن . وتتحدى به عوارض الحياة .. من حيث كانت أثراً من آثار الخالق سبحانه الذي خلق .. فهو أعلم بمن خلق .. وبما يصلحه ويحقق وجوده .

فالوالدان والأخوة تحت سقف البيت لا يحتاجون إلى قوة خارجية تفرض عليهم نمطاً من السلوك . لكنهم أبداً يبذلون ويتعاملون بوحي من دوافع تتحرك . بل وتنطلق كلما دعا إلى البذل داع . يحقق مصلحة الأسرة .. دون ترقب لنفع قريب أو بعيد .. ولو ترك الأمر إلى المؤسسات التي اصطنعها البشر بديلاً للأسرة . لضاعت الأسرة .. وضاعت الدولة ..

ولن نلجأ في تقرير ذلك إلى جدل قد لا يثمر مع المعاندين ..

---

(١) الأسرة في الاسلام . د . مصطفى عبدالواحد . بتصرف .

بيد أننا نستقريء الواقع الذي يشهد بما نقول :

(إن الاجتماعيين والتربويين أقروا بضرورة البيت للحياة الاجتماعية . وبضرورة التربية فيه بصرف النظر عن إختلافهم في أصل نشأة البيت في المجتمعات :

هل كان نتيجة التنظيم الديني كما تخبرنا الأديان السماوية بأنه بدأ من زواج آدم بحواء)[1] أم أنه جاء نتيجة الخبرة الانسانية في الحياة بأنه أسلم نظام لها .

أم أنه نظام فطري في المجتمع الانساني أم نظام تطوري ؟

ولهذا عندما حاولت روسيا التخلص من نظام البيت لتنشئة الأطفال في المؤسسات التربوية بأيدلوجية معينة اصطدمت بهذه الحقيقة .

فتخلت عن خطتها . وبدأت تهتم بالبيت . وقالوا : نحن ننتظر اليوم الذي تتحسن فيه إقتصاديات البلاد وتستغني المرأة عن العمل في الخارج وتتفرغ لتربية أولادها ورعايتهم . ولا سيما في المرحلة الأولى من حياتهم)[2]

أى أن المذهب الذي شاع وذاع . ومن ورائه وقفت أجهزة الاعلام في أقوى دولة في العالم تشد من أزره وتدافع عنه ..

المذهب الذي تحرسه دولة « كبرى » .. يتوارى اليوم خجلاً .. ليعود إلى النقطة التي بدأ بها الاسلام سير البشرية نحو الكمال ..

وبقي أن يعلم المفتونون بالمباديء المستوردة بهذا الهروب

(١) وهو الرأى السليم من بين الاحتمالات التي ذكرها المؤلف .

(٢) البيت الاسلامي . مقداد يالجن ١١ : ١٢ .

المكشوف من تجربة ظهر لهم زيفها .. وإذا كان العائدون إلى الحق في مجال الأسرة لا يعودون تأثراً بالاسلام الذي يتمسحون اليوم بمبادئه ...

وإذا كان العناد يعقد ألسنتهم فلا تنطق بالصواب ولا تعلن عودتها إلى أمر قرره الدين .. فان ذلك واجبنا اليوم : أن نعتز بهذا الدين ومبادئه القويمة وأن نزداد إستمساكاً بعروته الوثقي . وبخاصة في حقل من المعرفة يكثر فيه أدعياء العلم .. والعلم منهم براء .. وسوف تظل مبادىء الاسلام حية مباركة كما أراد لها الحق سبحانه .. رضي الناس أم كرهوا .. بل إن الواقع الماثل ليقدم كل يوم جديداً يؤكد صدق نظرة الاسلام الحريص على الأسرة .. في الوقت الذي يدفع المبطلين بالحق .. بالفطرة التي يحاول الناس طمس معالمها .. بينما هى تستعلن دائماً .. تأخذ بحجزهم إلى الحق الذي لا مرية فيه .

يقول المرحوم الأستاذ عباس العقاد :

(وما هو الأثر الذي يترتب على إلغاء الأسرة بأنواعها المعروفة بين الأجيال البشرية ! إن أول الآثار التي تشاهد في هذه الحالة :

أن الناس يخلقون الأسرة بما يشبهها وينوب عنها فلا يكفيهم مجرد الاجتماع في مكان واحد . ولا يغنيهم أنهم يشتركون في المأكل والمشرب مئات وألوفاً . كما يحدث في الجيوش والأديرة والمدارس الداخلية .

ولكنهم يخلقون حنان الأسرة . ورعاية الأبوة والأمومة خلقاً يعلمون أنه مصطنع . ولا يستغنون عنه مع علمهم بأنه اصطناع .

فتظهر أسماء التحبيب والتصغير في الجنود . ويتسمون بأسماء « توني » و « جوني » (مثال من المجتمع الغربي) كأنهم أطفال صغار . وتظهر الحيوانات الداجنة . يعطف عليها المعسكر كما يعطف على أبناء البيت . وتظهر أمومة الكنيسة وأحضان المدرسة . وأخوة الدير . وأشباه القرابات « العائلية » التي يخلقها المجتمعون معها . حتى لو وجدت لكل فرد منهم علاقته العائلية بذويه . وإذا فقد الانسان هذا الشعور الحميم . لم يكن قصارى الأمر عنده أنه يعاني « النقص الاجتماعي » في أخلاقه القومية أو أخلاقه الانسانية .

بل كان من جراء ذلك أنه يعاني نقصاً « بيولوجياً » يؤثر في الغريزة والعقل)[1]

الأم وحق الحضانة :

(يولد الطفل فتثبت عليه ثلاث ولايات :

ولاية التربية الأولى : وهي الفترة التي لا يستطيع أن يقوم فيها بحاجاته بنفسه وهي الحضانة .

والولاية الثانية : ولاية الحفظ والصيانة والتعليم . وهي الولاية على النفس .

والولاية الثالثة : تدبير شئون ماله إذا كان له مال . وهذه تسمى الولاية على المال . والحضانة حق للنساء . وقد أثبتها النبي ﷺ للنساء :

---

(١) عن كتاب الأسرة في الاسلام للدكتور مصطفى عبدالواحد ص ١٥ : ١٦ .

فقد ذهبت امرأة إلى النبي ﷺ تقول له :

يا رسول الله إن هذا ابني كان بطني له وعاء . وحجري له حواء . وثديي له سقاء . وإن أباه طلقني . وأراد أن ينزعه مني . فقال لها رسول الله أنت أحق به ما لم تتزوجي)[١]

ولقد وقف الاسلام إلى جانب الطفل في ساعة الخطر هذه .. يشد من أزره . ويضع له الضمانات الكفيلة باقامته على سواء الصراط . بعيداً عن كل إهتزاز في الأسرة يدمغه فاذا هو شريد .

إن من أهداف الزواج الأصلية : السكن النفسي . عن طريق الازدواج بين ذكر وأنثي : وإذا كان ذلك لايتم إلا باجتماعهما معاً على مصالح النكاح ومنها الارضاع والتربية فان رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده تتبدى فيما سن من شرائع تسد هذه الثلمة[٢] في حالة الفراق . أو الموت . وترأب هذا الصدع على أساس من تكوين الوليد ذاته . وإستجابة لفطرته التي فطره الله عليها .

وذلك حين جعل الأم ــ ومن في حكمها من النساء أولى بالحضانة .. ثم كان للأب دوره المعلوم اللازم لصقل الولد وتهذيبه .. من بعد فراغ الأم من أداء هذا الدور .

فالطفل بطبيعته يقبل على أمه للغذاء والرعاية بدافع من أنانيته .. أكثر من أبيه الذي لا يحقق له مباشرة حاجاته الغرزية .. مع قدرتها على العطف في مرحلة يكون الحنان فيها غذاء لا يقل عن أى غذاء .

---

(١) الشيخ محمد أبوزهرة . تنظيم الاسلام للمجتمع ١٠٢ .

(٢) ثلمه وثلم مثل غرفة وغرف . وثلمت الاناء ثلما من باب ضرب .

وعلى هذه المباديء قامت نظرة الاسلام في تشريعاته لحضانة الطفل .. فجاءت مساوية للفطرة .. مؤيدة إلى الغاية على نحو ما سنذكر فيما يلي :

(قال إبن المنذر :

أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الزوجين إذا إفترقا ولهما ولد فإن الأم أحق به ما لم تنكح)[1]

وقد لخص الكاساني الحكمة في ذلك حين قال (والأصل فيها حضانة النساء لأنهن أشفق وأرفق وأهدى إلى تربية الصغار .

ثم يصرف إلى الرجال . لأنهم على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار أقدر)[2] فالأمر يدور أولاً وأخيراً على أساس مصلحة الوليد .. فهو مع الأم باديء ذي بدء لأنها أقدر على تنشئته حينئذ .. فاذا تزوجت من غير أبيه تعرضت بذلك تربيته للاهمال من حيث زاحمته واجبات الزوج الجديد .. بالاضافة إلى موقفه هو منه .. ونظرته إليه ككائن غريب ينازعه حناناً يريد التفرد به .. وحينئذ فلا بد من دفعه إلى محضن آخر .. تتوفر فيه عناصر الصلاح .. ولا سيما إذا تعلق الأمر بدينه وهو ثروته الحقيقية : وذلك لأن (الحاضن حريص على تربية الطفل على دينه . وأن ينشأ عليه ويتربى عليه . فيصعب بعد كبره وعقله إنتقاله عنه .

وهو بغيره عن فطرة الله التي فطر عليها عباده فلا يراجعها

---

(١) القرطبي ٩٧٢ .

(٢) الكاساني . بدائع الصنائع ج ٤١/٤ .

أبداً) (١)

وفى الوقت الذى تغيب فيه الأم .. وهى التى كانت ترعاه بغريزتها الباحثة طبعاً وراء مصلحته .. فان إختيار خلفها يتطلب لوناً من الدقة تتحقق به المصلحة . ومن هنا إشترطوا فى الحاضن خلوها من الأمراض الخلقية والبدنية . فلا بد فيها من العقل والكفاية والقدرة وحرز المكان .. والتدين .. والخلو من الأمراض المعدية .. ومن الفسق .. ولا تتقطع صلة الوالد به إذا كان عند أمه .. بل لا بد من متابعته بالتهذيب كلما أمكن ذلك :

(وللأب وغيره من الأولياء تعهده عند أمه وأدبه . وبعثه للمكتب) (٢)

وحين يميز الطفل . فيختار أمه .. فان إختياره هذا ينبغى أن يكون تحت الرقابة قبل أن يجرفه هواه بعيداً عما يحقق مصلحته :

(لأنه ـ لغلبة هواه ـ يميل إلى اللذة الحاضرة : من الفراغ والكسل والهرب من الكتاب وتعلم آداب النفس ومعالم الدين ـ فيختار شر الأبوين . وهو الذى يهمله ولا يؤدبه) (٣)

متى تنتهى الحضـــانة :

(قال الشافعى رحمه الله : الأم أحق بالطفل ذكراً كان أو أنثى إلى أن يبلغا سبع سنوات فاذا بلغا سبعاً وهما يعقلان عقل مثلهما خير

---

(١) زاد المعاد ج ١٣٢/٤ .
(٢) حاشية الشيخ الدسوقى ج ٥٩٧/٢ .
(٣) بدائع الصنائع ج ٤٤/٤ .

كل منهما بين أبيه وأمه وكان مع من إختار)[1]

وفي مقابل رأى الشافعي : يرى بعض العلماء عدم تحديد المدة . بسن معينة .. بل يجعل من إستقلال الطفل بأمور نفسه غاية لوجوده في حضانة أمه .. وبداية تؤهله للعيش في كنف الأب ..

ولعل في توجيه الرسول ﷺ بأن يؤمر الصبي بالصلاة لسبع لفتة كريمة تشير إلى الزمن الذي تتطلع فيه مواهب الطفل إلى التفتح في دنيا الواقع .. لتكون أخلاقاً عملية .

الفرق .. بين الذكر والأنثي

ولأن الأنثي ذات طبيعة خاصة .. ورسالة معينة فان الموقف منها يختلف عنه إزاء الذكر .

ومن هنا إختلفت مدة الحضانة نظراً لهذه الطبيعة .. وتلك الرسالة .. (لأن الغلام إذا إستغني عن الأم يحتاج إلى التأديب . والتخلق بأخلاق الرجال وتحصيل أنواع الفضائل . واكتساب أسباب العلوم .

والأب على ذلك أقوم .. وأقدر .. مع أنه لو ترك في يدها لتخلق بأخلاق النساء . وتعود بشمائلهن . وفيه ضرر .

وهذا المعني لا يوجد في الجارية :

فتترك في يد الأم . بل تمس الحاجة إلى الترك في يدها إلى وقت البلوغ . لحاجتها إلى تعلم آداب النساء . والتخلق بأخلاقهن .

---

(١) زاد المعاد ج ١٣٥/٤ .

وخدمة البيت .

ولا يحصل ذلك إلاّ أن تكون عند الأم . ثم بعد ما حاضت أو بلغت عند الأم حد الشهوة . تقع الحاجة إلى حمايتها وصيانتها وحفظها عمن يطمع فيها لكونها لحماً على وضم والرجال على ذلك أقدر)[1] .

ثبوت الاختيار للبنت

قال بذلك الشافعي كما مر بك آنفاً .. وأكثر العلماء لا يقول باختيار البنت صيانة لها . وتقديراً لطبيعتها التي تفرض عليها نوعاً من الآداب هي في نفس الوقت غير ملزمة للذكر . وقد قالوا في ذلك كلاماً يرسم في نفس الوقت آداباً في السلوك والمعاملة . ويوضح في تربية الولد نهجاً مستقيماً يحقق لو أخذنا به .. ذرية صالحة .

(فلو خيرت البنت .. أفضي ذلك إلى أن تكون عند الأب تارةً وعند الأم أخرى . فانها كلما شاءت الانتقال أجيبت إليه . وذلك عكس ما شرع للاناث من لزوم البيوت وعدم البروز . ولزوم الخدور وراء الاستار .

فلا يليق بها أن تمكن من خلاف ذلك ..

... وأيضاً فان ذلك يفضي إلى أن لا يبقي الأب موكلاً بحفظها ولا الأم .. لتنقلها بينهما .

وقد عرف بالعادة أن ما يتناوب الناس على حفظه ويتواكلون

---

(١) الموضع السابق والوضم : ما يمنع اللحم من الأرض وهو الورش للجزار .

فيه هو آيل إلى ضياع . ومن الأمثال السائرة « لا يصلح القدر بين طباخين » .

قالوا : وأيضاً : فالعادة شاهدة بأن اختار أحدهما يضعف رغبة الآخر فيه بالاحسان إليه وصيانته :

فاذا اختار أحدهما . ثم انتقل إلى الآخر . لم يبق أحدهما تام الرغبة في حفظه والاحسان إليه .

فان قلتم : فهذا بعينه موجود في الصبي . ولم يمنع ذلك تخييره قلنا صدقتم .. ولكن عارضه كون القلوب مجبولة على حب البنين واختيارهم على البنات :

فإذا اجتمع نقص الرغبة ونقص الأنوثة وكراهة البنات في الغالب ضاعت الطفلة . وصارت إلى فساد يعسر تلافيه . والواقع شاهد بهذا والفقه تنزيل المشروع على الواقع وسر الفرق :

ان البنت تحتاج من الحفظ والصيانة فوق ما يحتاج إليه الصبي . ولهذا شرع في حق الاناث من الستر والخفر ما لا يشرع مثله للذكور في اللباس . وإرخاء الذيل شبرا أو أكثر . وجمع نفسها في الركوع والسجود دون التجافي . ولا ترفع صوتها بقراءة القرآن . ولا ترمُل في الطواف . ولا تتجرد في الاحرام من المخيط . ولا تكشف رأسها . ولا تسافر وحدها .

هذا كله مع كبرها ومعرفتها . فكيف إذا كانت في سن الصغر وضعف العقل الذي يقبل فيه الانخداع . ولا ريب أن ترددها بين الأبوين مما يعود على المقصود بالابطال . أو يخل به . أو ينقصه . لأنها لا تستقر في مكان معين فكان الأصلح لها أن تجعل عند أحد

الأبوين من غير تخيير)[١]

ويبدو الحرص على مستقبل الصبي واضحاً من قبل القائلين بالخيار والرافضين له معاً : فبعد أن سقنا لك رأى الداعين إلى حفظ الأنثي . يطالعنا معني التشدد في حالة ما إذا إختار الصبي أو الجارية أباه وأمه . على معني أن يدور موقف الوالد والوالدة حول مصلحتها ..

وقد وضعوا لذلك آداباً ينبغي أن تراعى منها :

(ويمنع الأب الأنثي إذا إختارته من زيارة أمها . لتألف الصيانة وعدم البروز والأم أولى بالخروج منها لزيارتها . ولا تمنع الأم زيارة ولديها على العادة كيوم من أيام . لا في كل يوم ...

... وإذا إختارها ذكر .. فعندها ليلاً وعنده نهاراً ليعلمه الأمور الدينية والدنيوية)[٢] .

وفي هذه الآداب تبدو لنا عظمة الفقه الاسلامي .. الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أعطاها حقها .. وبخاصة في هذا الباب .. الذي يتعلق بمستقبل الجيل الجديد .. المعد لتحمل الأمانة بعد .

وإنه ليكفينا مئونة البحث عن أسس التربية في الشرق أو الغرب عند أناس يحاولون تحويل أنظارنا عن شريعتنا .. ثم يقدمون لنا ثقافاتهم تحت عناوين براقة تستهوي عقولاً فاتها الفهم المستنير .. فضلت حين ولت وجهها شطر هذا الأفق .. وأضلت حين دعت

---

(١) زاد المعاد ج ١٣٦/٤ : ١٣٧ .
(٢) حاشية البجيرمي على الخطيب ج ١٠٠/٤ : ١٠١ .

إليه . ناسية أو متناسية عظمة الاسلام الذي يقدم إلى الحياة كل جديد مفيد .. لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .

لمن أراد أن يذكر هذا المنهج الاسلامي الرشيد . وأن يشكر الله سبحانه بحسن تطبيقه والعمل به ..

وإذا قل فينا الذاكرون والشاكرون .. الذين نسوا هذا التوجيه السماوي فأنساهم الله أنفسهم وأسلمهم لهواهم يتخبط بهم في التيه . فان من واجبنا أن نذكر الناسين بما ترتب على إهمالهم من مشاكل ..ورطهم فيها تَقلِيدُهم للغير .. « فمن شاء إتخذ إلى ربه سبيلا » .

تعقيـــب

ولا بد لنا من وقفة طويلة أمام هذا المنهج المستقيم الذي رسمه علماؤنا متأثرين بروح الاسلام . الذي منحهم بصيرة كاشفة شخصت الداء .. فنجحت في وصف الدواء .. وتحقيق الشفاء .. ففيما يتعلق بالغلام :

هو في حاجة ـ قبل أن يستغني ـ إلى حنان أمه .. فعواطفه في ظلها تمضي على سجيتها . بلا إرهاب أو تخويف .

وبذلك تتفتح مواهبه . وتستعد للاثمار .

بيد أن لهذا الحنان حدوداً .. تنتهي بمشارفة البلوغ . وحلول مرحلة التكليف . ولو ترك حبله على غاربه . تعود شمائل النساء . بسبب من طول صحبتهن . عن طريق حياته في كنف أمه .

ويوشك بهذا التعود أن ينال حظه من لعنة الله .. حين يشتبه

بالنساء . وقد فطن علماؤنا المخلصون لهذه الحقيقة .. وأدركوا خطورة وضع ينتهي بالناشيء إلى إهتزاز رجولته .. فأذنوا في الناس : بضرورة وجود الولد تحت إشراف أبيه ـ بعد حضانة أمه له ـ ليبدأ دوره في صقل عوده . وتنمية مواهبه . ونقرأ في هذا المعني ما نقله صاحب مجمع الأمثال :

(قال المفضل : بلغنا أن فتاة من بنات العرب كانت لها خالات وعمات . فكانت إذا زارت خالاتها ألهينها وأضحكنها . وإذا زارت عماتها أدبنها وأخذن عليها .

فقالت لأبيها : إن خالاتي يلطفنني . وأن عماتي يبكينني :

فقال أبوها وقد علم القصة :

أمر مبكياتك . أى الزمي وأقبلي أمر مبكياتك)[1]

وهكذا (الوالد إذا أدب ولده : فانه لو كف عن تأديب ولده . كما تشير به الأم رقة ورأفة لفسد الولد . وإنما يؤدبه رحمة به . وإصلاحاً له .

مع أنه يؤدبه ويؤثر أن لا يحوجه إلى تأديب . بمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الدواء الكريه .

وبمنزلة قطع العضو المتآكل . والحجم . وقطع العروق بالفصاد . ونحو ذلك . بل بمنزلة شرب الان ان الدواء الكريه . وما يدخله على نفسه من المشقة لينال به الراحة)[2] .

ورغم أن التخلق بأخلاق النساء من خدمة البيت . وتعلم آدابه

(١) مجمع الأمثال للميداني ج ٣٢/١ .
(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ١١٦ .

غاية وجود الفتاة في رعاية أمها .. فان هنالك أمراً أعز من هذا كله وهو صيانة أخلاقها أن تنحرف . بعد أن تحيض . وما يفرضه ذلك من ضرورة وجودها في رعاية والدها . لأنه أقدر على هذه الرعاية .

وبهذه المباديء القويمة يحمي الاسلام الانثي من الضياع . كما يحمي والديها من المتاعب . إن كثيراً من الآباء يضجون بالشكوى حين يريدون تزويج البنت أثناء تعلمها .. فترفض هذا الزواج .. مع أن المسئول هنا هو الوالد .. دون سواه .

لقد أطلق للبنت الحرية باديء ذي بدء .. ومكنها من أن تمضي على هواها وأن تنسج من خيوط واقعها مستقبلاً منطلقاً في الديوان .. لا في أسرة مستقرة .

فلا غرابة أن تتبرم بقرار الزواج وإن كان مشروعاً .. لأنه تركها تفهم الحياة في صورة : كتاب .. وشهادة .. ثم وظيفة لا تؤدي بها رسالتها الحقيقية . ومن ثم .. فهو يعاني من سوء إختياره .

ولو أنه أصاخ السمع يوماً إلى تعاليم الاسلام وما قعد من قواعد . وأصل من أصول .. ولو أنه عودها الصيانة وعدم البروز إلاّ لحاجة التربية والتعليم في إطار من الحشمة والأدب .. وقيم الأسرة .. لو أنه فعل ذلك لحسم كثيراً من المشاكل التي تأخذ بحجزة . ولا يستطيع منها فكاك ..

لقد تشدد سلفنا الصالح في مثل هذه المواقف فحفظوا أنفسهم وذرياتهم .. لأنهم استمسكوا بالعروة الوثقي التي تربطهم بالله تعالى فجعل حياتهم طيبة مباركة .

إن الاسلام يطالب الفتاة في حالة تعبدها أن تكون مستورة

وقورة . مع أنها في خلوة تبعد بها عن وساوس الشيطان . فما بالها اليوم تكشف عن ساق . وتشمر عن ذراع . في زحام الشباب . وصخب الحياة ؟

ولقد أتاح لها التعليم من أجل الوظيفة حرية إحالتها بيدها إلى فوضي . وصار لها زملاء . فأصدقاء .. وصارت لها حاجات تتصل بالمستقبل تجعلها موزعة الجهد والوقت .. من هنا إلى هناك ..

هكذا بلا رقيب أو حسيب ؟ :

وكان الاختلاط الذي سموه « هادفاً » ونسميه باسم الاسلام « هادماً » وكذبوا حين زعموا برود الغريزة في ظل من اللقاء المكرور ؟ :

ونسوا أن الزوج يعاشر زوجه .. خمسين عاماً .. وهى بين يديه حلال له .. ومع ذلك فلا مانع من أن تستيقظ الغريزة معها ؟ :

وهو الأمر الذي تنبه إليه علماؤنا الغيورون .. فحذروا الآباء من خطر تردد البنت بين أبيها وأمها .. حتى لا تضيع أخلاقها في وقت توزعت فيه مشاعرها بين جهتين .

إن كثرة الخروج ذهاباً وإياباً تجعل ذلك عادة للفتاة يصعب التخلي عنها . وقد تترتب على ذلك مشاكل تجد الطريق ميسوراً إلى أسرة إنقسمت على نفسها : بين أب يترقب أخرى تشاركه حياته .

وأم تندب حظها العاثر .. باحثة هي الأخرى عن رجل يملأ فراغها .

وفي هذه الدوامة قد تجد البنت متنفسها في الظلام .. ثم يستفحل الداء . ويستعصي العلاج .

ولهذا السبب كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى .

نقطة أخيرة نحب أن نركز عليها :

إن هذه الغيرة الشديدة على الفتاة .. كانت في مستهل الحياة الاسلامية ..بينما الناس إيقاظ . والحرمات مرعية والأخلاق مصونة .

فكيف تكون نسبة الغيرة اليوم .. وقد ظهر الفساد في البر والبحر بما كشبت أيدي الناس ؟ :

ومازالت في القلوب بقية من أمل . أن يستيقظ الرقود على صوت النذير العريان .. يهتف بالناس . ليصحو في وجدانهم الحس التاريخي الاسلامي .. ليقرءوا ثم يفهموا .. ثم يعلموا .

كلمة لا بد منها

بين يدي الحديث عن عمل المرأة .. وما ترتب من أعداد دور للحضانة لم تؤد حق الولد في الرعاية حتي الآن ..

لا بد من كلمة تكشف عن وجهة نظر الاسلام في عمل المرأة كشفاً تزول به أوهام تحاول أن تلصق به ما هو منه براء .. وتتضح معالم الاسلام التي يجب أن ننتهي إليها : فعن أهمية العمل لتدبر أمر المعاش يقول ﷺ :

(ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)[1]

---

(١) البخاري . كتاب البيوع .

وأفضل الطعام ما كان ثمرة لعمل الانسان بيده .. والاسلام في تكريمه للعمل يتسق مع فطرة الانسان الباحثة عن الرزق :

لأن في العمل نجاة من الفراغ الذي هو مدعاة إلى الملل المفضي إلى الفساد . والأصل في ذلك قوله سبحانه :

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[١] .

يقول الألوسي في تفسيره للآية الكريمة :

(واستدل بالآية على ندب التسبب والكسب . وفي الحديث أن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف) .

ثم يقول عقب ذلك : (والمشهور أن الأمر في الموضعين للاباحة . وجوز كونه لمطلق الطلب . لأن من المشي وما عطف عليه ما هو واجب كما لا يخفى) .

وفي قوله تعالى : **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَاةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ...﴾**[٢] ما يشير أيضاً إلى مشروعية طلب الرزق وتقدير الاسلام له :

يقول الفخر الرازي هنا :

(وقوله تعالى : فاذا قضيت الصلاة . أى إذا صليتم الفريضة يوم الجمعة فانتشروا في الأرض .. هذه صيغة الأمر بمعني الاباحة .. فيباح لهم أن يتفرقوا في الأرض ويبتغوا من فضل الله وهو الرزق) .

---

(١) الملك ١٥ .
(٢) الجمعة ١٠ .

فالعمل إذن من أجل الرزق مباح في الاسلام .. ثم هو معقود بناصية الرجل كما قال بذلك الامام الزمخشري . ولا يمنع ذلك أن تتولى المرأة بنفسها طلب رزقها إذا فرضت عليها الظروف ذلك . على أن يكون ذلك محكوماً بقواعد الاسلام وآدابه المشروعة لصيانة المرأة عن التبذل ..

يقول سبحانه وتعالى :

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَى وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَاةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١)

فالأصل أن تظل المرأة في البيت مشغولة بعملها .

وإذا كان ولا بد من عمل خارج البيت .. فهو العمل الصالح المحقق لثمرات الايمان المحكوم بمبادئه ..

وإذن فاقتحام المرأة كل ميدان دون رعاية لطبيعتها كأنثي .. ودون تفكير في مستقبل ولدها كانسان .

ثم مزاولتها للعمل في ظروف تبتذل فيها فتفقد كرامتها .. وتعطل إنتاجها .. كل أولئك غير مسلم منطقياً .. وعملياً كذلك . ويجعل وحده مسئولاً عن نفقة البيت .. فعفة المرأة وصلاحها أعز علينا من كل شهادة تحصل عليها . وأيضاً من كل وظيفة ترقي إليها .

لتبقي تلك العفة وهذا الصلاح روحاً للأسرة التي تقوي فيقوى بها بنيان المجتمع وتتحقق بهما العبودية لله تعالى . والالتزام بأمره .

---

(١) الأحزاب ٣٣ .

هذه العبودية التي تجيء على أثرها بركات من السماء والأرض تعمر بيوتاً اذن الله أن ترفع .. وتقدم للحياة جنوداً في جيش الحق .

ولا يفهم من ذلك اعتبار المرأة كما مهملا كما يزعم بعض الناس : بل إنَّ ذلك بعينه ما تفرضه شريعة النظام والعدل على سواء .

النظام الذي يقضي بأن يكون للأسرة كوحدة إجتماعية مسئول يدبر أمرها . والعدل الذي يرشح الرجل لتحمل هذه المسئولية بما يملكه من مواهب مادية ونفسية وعقلية ..

يقول الدكتور عيسي عبده تفسيراً لقوله تعالى **﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾**(١) إن العمل في سبيل تدبير المعاش هو أصلاً واجب الرجل . دون المرأة . إذ تقع على المرأة واجبات أخرى بحكم اعدادها . « الفسيولوجي » وليس معنى ذلك أن مفهوم النص القرآني يمنع المرأة من العمل في سبيل القوت . ولكن معناه : أن الأصل هو أن يسعى الرجل سعياً حثيثاً متصلاً لتدبير معاشه . ومعاش أسرته . أو كما يقول الزمخشري ما معناه :

(إن العمل معصوب برأس الرجل)(٢)

هذه هي تعاليم الاسلام ووصاياه فيما يتعلق بعمل المرأة .. إنه يحتفظ للعمل بمفهومه الراقي : فليس هو الضرب في الأرض من أجل كسرة الخبز أو شربة الماء .. ثم ينتهي الوجود بعد ذلك . ولكنه بالدرجة الأولى : نشاط يبذله الانسان .. وفي وعيه أن

---

(١) طه ١١٧ .
(٢) المحاضرات العامة . إدارة الثقافة بالأزهر ج ٣ .

الله تعالى رقيب عليه .. وأن هذا العمل نفسه سيعرض على الله تعالى .. فيثاب أو يعاقب على ما قدمت يده من خير أو شر.

فهل فهمت المرأة العمل بهذا المعنى؟

هل حققت غرضها حين ألقت حبلها على غاربها .. فوفقت بين ما يفرضه العمل من واجبات وما تتطلبه الذرية من حنان؟

أم أنها أخفقت فى هذا المجال .. فحرم الولد من رعايتها .. وفقد العمل حيويته ولم ينتج ثمرته؟ حين حاولت أن تعوض ما فاتها . بالقاء ولدها فى دور الحضانة .. التى لم تستطع حتى الآن أن تقوم بدور الأم؟ وذلك ما نتناوله بالحديث فيما يلى :

دور الحضانة
وهل وفّت بحاجات الطفل

(منذ نصف قرن . كانت مشكلة المرأة هى الحجاب والسفور . وكانت الحجة لضرورة سفورها هى : أنه ينغى أن تخرج وتتعلم لتقوى على تربية أطفالها .

وتعلمت المرأة . واشتغلت وصارت لها حقوقها الاجتماعية والسياسية . ولكن بعد أن كان الجهل فيما مضى يمنع المرأة من تربية أولادها التربية الصحيحة .. صار التعليم هو الذى يحول ا كآن بينها وبين ذلك .. فالتعليم يقود المرأة إلى العمل .. والعمل لا يترك للمرأة وقتاً كافياً تربى فيه أولادها . ولذلك . فهى اما أن تعتمد على .. الشغالة .. أو الجدة .. إن وجدت ا و على دور الحضانة ..

وما هى الآثار التى تتركها الشغالة أو الجدة أو دور الحضانة على

نفسية الطفل ؟ وما هي الحاجات النفسية الأساسية لنمو الطفل وكيف نشبعها ؟)[1]

وهذه الفكرة وما دار حولها من أسئلة .. جاءت على لسان كاتب مسيحي متحرر ولو أنفردنا نحن باثارتها لأحاطت بنا الظنون .. لكننا آثرنا أن نستهل بها الحديث في هذه النقطة من حيث كانت شاهداً تقوى به الحجة . بقدر ما تضعف به الأصوات المذعورة من توجيه الاسلام في هذا الجانب الخاص بعمل المرأة وأثره على النشء .

فحينما يعلن الاسلام شروطه اللازمة لنمو الطفل .. وحينما يضع الأمر في إطار الأمانة الشرعية المنوطة بالانسان .. فان أصواتاً تتنادى من هنا وهناك .. بأن الاسلام يحول بين المرأة والعمل ؟ .

وبدل أن تعود المرأة إلى نفسها بالتهمة .. وفي محاولة للبحث عن حل أوفق للمشكلة .. ورعاية لولدها .. تلجأ هي للموقف الأسهل : فترمي دعاة الحق بالتعصب والجمود . ولا جمود هناك ولا تعصب .. إلاّ في قلوب المعاندين الفارين من مناقشة موضوعية تلزمهم كلمة التقوى .. وحينما تمردت المرأة على الحجاب ورغبت في العمل . وحينما تطلعت إلى المعرفة . لم تكن مدفوعة بالروح الاسلامية الخالصة .. وإلاّ لما وقعت في هذا التخبط الواضح ..

لقد سارت مع تيار الأهواء . وأنها لتذوق اليوم ويلاتها .. وليت الأمر يتوقف عليها .. بل إنّ الخاسر الحقيقي في هذه القضية هو

---

(١) دكتور ملاك جرجس . مشاكل أطفالنا ٢٦٠ : ٢٦١ .

الطفل المظلوم .

لقد مرت بنا شروط الاسلام في الحضانة :

من هي الحاضنة ..

ما هي خصائصها ..

مدة الحضانة ..

إختيار الولد لأى من والديه ..

ضرورة الاحتياط في تربية البنت ..

فهل يمكن للأم العاملة أن تجد المحضن الذي يعوض الطفل ما إفترضه الاسلام له من رعاية ؟

وهل تجد الأم النشاط الكافي لتربية آخر النهار في أعقاب هموم العمل أو له ؟

وهل نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن مثل هذا الذهن المكدود غير قادر على الوفاء بحاجة الطفل إلى الحنان والرعاية .. لأنه يعيش في دوامة القلق ؟

وهذا ما أشار إليه المرجع السابق :

(من الثابت علمياً أن الحياة الانفعالية للطفل لها أثرها على عملية الهضم . فالأكل المرتبط بالخوف والغضب والثورة والعناد يعطل ويقلل من فاعلية الهضم . مما يضر بنمو الطفل وصحته العامة . إن التمثيل الغذائي يحتاج إلى جو نفسي هادىء وحالة نفسية غير مضطربة بالخوف أو بالغضب)[١]

---

(١) المرجع السابق ٢٢٨ .

ومن هنا يحذر المخلصون فيقولون :

(إننا ننصح دائماً : أن تشرف الأمهات على تربية أطفالهن . ولا يعتمدن كثيراً على المربيات . نظراً لأن وجود الأم المستمر يساعد الطفل على تكوين عادة إنفعالية ثابتة صحيحة . وهو أحوج ما يكون إليها في تكوينه الانفعالي إذ تساعده إلى إتمام عملية الثبوت الانفعالي .. فتبعده عن القلق والخوف .. وما إلى ذلك من أسباب الاضطراب النفسي)[1]

ومتي توفر هذا الأمن .. يبدأ الطفل مرحلة من الاستقرار العاطفي .. يكون لها أثرها في معاملته للغير .

ولم يقتصر الأمر على ما قرره باحثونا .. بل إنَّ كتاباً غربيين يتنادون بعودة الأم إلى بيتها إنقاذاً لولدها ..

فدور الحضانة قد تنجح فتطبع الأطفال باحترام أشكال النظام وآداب المائدة .. والحديث ..

ولكنها تفشل في تكوين الأخلاق الفاضلة .. لأن الأم وهي المسئولة عن ذلك تركت وليدها للضياع .. فلم يجد من يبث فيه تلك المعاني التي تنبته نباتاً حسناً .. تقول مؤلفة كتاب « أطفال بلا أسر » :

(الأطفال الذين يتغذون من ثدي أمهاتهم هم من غير شك يفضلون أولئك الذين يتغذون صناعياً أينما كانوا ..

ولعل خير ما وصلنا إليه من النتائج التي حصلنا عليها كانت من

---

(١) د . أحمد زكي صالح ـ علم النفس التربوي ص ١١٧ ط النهضة .

الأطفال الذين تغذيهم أمهاتهم عندها .. فهؤلاء يبدو عليهم أثر الفائدتين جميعاً :

عناية الأم بأطفالها والرعاية الصحية في دور الحضانة)[1]

ولهذا الكلام أهمية لأمرين :

١ ـ فالتي تقرره إبنة الباحث النفسي « فرويد » .. صاحب الآراء المشهورة في علم النفس .. فهي حجة على المفتونين بمذاهب الغرب ..

٢ ـ ثم هي آراء من تمرس بالتجربة وعاش في دور الحضانة : ملاحظاً .. مقارناً .. منتهياً إلى نتائج أدى إليها النظر الدقيق .

ومن هذه النتائج المهمة ما تقرره من تخلف الوليد خلقياً في حال تربيته بدار الحضانة .. لأن هذه الناحية مصدرها الأم وحدها .

وقد جاء هذا المعني واضحاً في قول المؤلفين :

إن أطفال الحضانة (يتحلون بصفات النظافة .. وآداب المائدة .. ويتمكنون بسهولة من إطاعة قواعد المجتمع ونظمه .

أما عن نموهم الخلقي فكثيراً ما نتبين أنهم لا يرتقون كثيراً عن مستوى الأطفال الفقراء المهملين . بالرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت في هذه الناحية وهو أمر يؤسفنا جميعاً ..

وهذا يظهر بوضوح حينما يتركون معاهدهم ..

ومن جراء هذا الفشل في تنشئتهم عارض المفكرون من رجال التربية في السنين الأخيرة فكرة دور الحضانة بجملتها)[2] .

---

(١) أطفال بلا أسر . آنا فرويد ص ١١ دار الفكر العربي .

(٢) المصدر السابق ١١ .

وقد تنبه العقلاء اليوم .. فأشار بعضهم إلى ضرورة إعطاء المرأة إجازة طويلة حتي تتمكن من تنشئة ولدها وإعداده في أخطر سني عمره .. [1]

حيث تتناوله في هذه السن الباكرة يد واحدة في إتجاه واحد .. بينما في دور الحضانة تتناوله أيد كثيرة .. قد تختلف إتجاهاتها .. فتختلف تبعاً لذلك نظرة الطفل إلى الحياة .. وما يترتب على ذلك من تمزق شخصيته وعدم قدرتها على تحمل الأمانة .. بمثل هذه البنية المهلهلة .

إن (أطفال دور الحضانة يبحثون عن أهداف يوجهون إليها كل إهتمامهم العاطفي .. الذي لو سار سيره الطبيعي لاتجه نحو والديهم) [2]

وقد بقي أن يعترف العائدون إلى الحق هنا وهناك .. بسبق الاسلام فيما يتعلق بأهمية الأم وطبيعة عملها وخطر دورها .. ورجع ذلك كله إلى شريعته الغراء .. إلتزاماً بها .. ومغالاة بآدابها . في عصر تعتز فيه كل أمة بمبادئها وقوانينها .

إن الأم حين تعود مثقلة بهموم العمل .. فان تأثيرها لن يكون فقط نفسياً .. بل إنَّ دائرته لتنداح فيصل الضرر إلى بدنه وصحته .. ولن تكفي القروش المجلوبة في تعويض ما فات ..

ومن العجب أن تشغل غريزة الأمومة هناك في الديوان ..

---

(١) بدأت بعض المؤسسات الأمريكية في منح المرأة إجازة ثلاثة أيام في الأسبوع تتفرغ فيها لتربية أولادها ..!

(٢) المصدر السابق .

فتقصر يدها عن هدهدة الطفل ورعايته ..

بينما الطفل في البيت .. في ظل رعاية مجلوبة مصطنعة لا تحركها أشواق الأمومة الخالصة ..

والاسلام يريد للطفل أن يستصني أعلى أنماط السلوك .. وأشرف العواطف عن طريق أمه وأبيه .. ليخرج فعلاً منسوباً إليهما لا إلى الدولة كما يفعل الشيوعيون .. فاذا مات الأب .. فهو في أحضان أمه .. أو جدته لها . أو خالته .. حتي لا يحس بالفجوة الطارئة لو دفع إلى غيرها ..

أما والأم حية ترزق .. والزوجية أيضاً قائمة .. فان الطفل حين يحرم من تلبية حاجاته التي تمكنه مستقبلاً من العيش كريماً أو على الأقل : حين لا تتوخى هذه المصلحة .. فان الأمر يصبح يومئذ إهمالاً جسيماً في إنجاز « عمل » من أشرف الأعمال .. وفي غيبته فلا عمل ولا حياة .. ولا نجاة للطفل في ظل .. الشغالة .. التي قد تدفعه بكلتا يديها إلى طريق الغواية ... وقد نشرت الجمهورية أخيراً ما يثبت هذا . فقد جاء فيها :

(المربية تستغل أطفال مخدومتها في التسول)

دهشت الأم وهي تعود من عملها مبكرة ، بأطفالها الثلاثة ، وهم يرتدون الملابس الرثة الممزقة ووجوههم ملطخة بالأوساخ ويقفون على محطة المعادي بالقرب من منزلهم يمدون أيديهم إلا المارة ويتسولون !

أسرعت الأم باحتضان أطفالها ولفتهم في معطفها .. وأخذتهم في تاكسي إلى المنزل فوراً .

من أجل المادة .. وكان من الممكن لو عاش هؤلاء الأطفال في ظل أمهم أن يجدوا الفرصة مواتية للتعبير عن غرائزهم بحرية وإنطلاق .. حين يخلون بأنفسهم فيمارسون الحياة على سجيتهم .

وحينئذ تكسب الأم .. ويكسب معها المجتمع ثلاث لبنات حية يتحقق بها صلاح المجتمع ..

ومن المؤكد أن إبلاغ الأم للشرطة لن يضع للمشكلة حداً .. والحل .. في يد الأم .. بالوسيلة التي شرعها الله سبحانه .. واعترفت بها المدنية الحديثة صاغرة .. بالدين الاسلامي وقواعده الفذة في هذا المضمار :

(إن الدين مجموعة من القواعد تبرز ما كمن في الانسان من الخير . وهذا الخير هو أثر الشعلة المقدسة التي سرت في الانسان من نفس الرحمن[1] ولكن هذه الشعلة المقدسة انطفأت في حمأة الشهوات والميول النفسية التي هي أقرب في صورتها الأولية إلى الطبيعة البهيمية منها إلى الطبيعة الانسانية)[1]

إن أطفالنا ليسوا كأفراخ الدجاج .. يكفيهم العلف والماء ! .. كلا .. إنهم في حاجة إلى كل ما في قلوبنا من محبة .. وما في عقولنا من ذكاء .. لنتمكن من دخول عالم الطفولة المجهول به ا الرصيد من المعرفة التي تدرك حقائق الأمور .

وقد تبذل الشغالة « كل » ما تملكه من حب . و « كل » ما تملكه من « ذكاء » ولكن مجموع ما تملكه هو في واقع الأمر ما تبقي

---

(١) لعل المؤلف يشير بهذا الكلام إلى سر النفخة الالهية التي نفخ الله عز وجل بها في آدم عليه السلام وكانت سر فضله الذي استوجب سجود الملائكة له كما يشير له قوله تعالى : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ سورة الحجر الآية : ٢٩ .

(٢) المثل الأعلى للأنبياء . خ كمال الدين .

لديها بعد ما بذلت جله في رعاية أولادها هي .. ومستقبلها هي ! !
وهذا القدر الضئيل الباقي لا يشكل البيئة الفسيحة اللازمة لمرح الأطفال وإنطلاقهم ..
وأخطر ما في الأمر .. أن مثل هذه الخادمة يمثل هذه التربية الخاطئة تقف ضد تيار يجب أن يأخذ مجراه :
تيار من النزعات .. والميول يجيش به صدر الطفل .. ويريد أن يشق لنفسه طريقاً .. ولكن السد الجامد ـ الشغالة ـ التي أقامته الأم على عجل .. يصد هذا التيار المبارك .. ولن يجدي المال بعد ذلك في تلافي ما حدث من نتائج ..
ومع هذا . فمازال سدنة الحضانة مستميتين في الدفاع عن معاقلهم بمثل هذه التوجيهات التي يجيدون صياغتها .. في الوقت الذي يسخر منها واقع الحياة الصارم .. وقد قرأت أخيراً :

بعض تحذيرات للوالدين :
(لا تقتصروا على قولكم « يجب الا تفعل هذا » إذا كان في مقدوركم أن تضيفوا « ولكن يمكن أن نفعل ذلك » .
لا تتناقشوا عن شخصية الأطفال أمامهم . ولا تفرضوا بوجه عام أنهم لا يستمعون أو لا يلاحظون أو لا يفهمون .
لا تقطعوا على الطفل عملاً يواصله دون أن تنذروه إنذاراً عادلاً .
لا تظهروا حبكم للطفل عن طريق التدليل ..
.. لا « تأخذوا » الطفل إلى النزهة بل أذهبوا معه .

لا تترددوا في إعفاء الطفل من إتباع القوانين في بعض الأحيان ... لا تعاكسوا الطفل أو تتهكموا به . ولكن أضحكوا مع الطفل لا عليه . لا تجعلوا الطفل موضع مباهاتكم لدى الآخرين .. لا تعطوا محاضرات أخلاقية للطفل .

لا تنكثوا عهودكم ولا تعدوا شيئاً لا تستطيعون إيفاءه . لا تكذبوا ولا تواربوا ولا تتهربوا)[1]

وسؤال واحد نوجهه إلى المفتونين بمثل هذه الشعارات : من هي الشغالة التي تجد من ضميرها ووقتها ما يساعدها على تنفيذ هذه الأوامر؟ .. لا شيء غير الأم .. وهذا هو الحل .. ولا حل سواه ! !

الأم التي تمسك بيدها عبقرية البناء .. بناء الحياة كلها في شخص ولدها أنها مطالبة أن تضع النقط على الحروف .. إلى تشغيل « مخ » صغيرها ليحسن التعامل مع الحياة ..

وأترك الحديث للأستاذة عواطف عبدالجليل .. فربما كان الكلام أوقع من حيث صدر عن « امرأة » .. ذات خبرة ممتازة في هذا المجال . قالت المحررة :

الدراسة والمجتمع وشقاء العالم[2]

كلنا ذلك الانسان .. الكيان الحي الذي يخرج إلى الدنيا برصيد من عوامل الوراثة .. ثم لا يلبث أن يكتسب من العالم من حوله

---

(١) الحضانة دكتورة (سوزن ايزكس) ترجمة د . سمية فهمي ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
(٢) الجمهورية ١٩٧٣/٢/٦ للكاتبة عواطف عبدالجليل .

الكثير من مستكملات التكوين الناضح المهذب ... وفي بعض الأحيان يتعلم الإنسان من عالمه أكثر مما حمل من آبائه وأجداده !!
هذا الرأى في بساطة قدمه أثنان من العلماء ، كأحد الموضوعات المهمة التي ناقشها الاتحاد الأمريكي لتقدم العلوم في مؤتمره السنوي الذي عقد في « فيلادلفيا » في الشهر الماضي .

والعالمان هما دكتور « اللين دينس » ودكتور « هاري مارلد » ، وقد قاما بتجاربهما على مجتمع الشمبنزي .. أقرب مخلوقات الله إلى الانسان وخرج العالمان بنتائج محددة .. الصغير يخرج إلى الدنيا بعقل يسكن خلايا المخ .. ولكن العقل غير محدد المعالم .. إن المخ هو المادة الخام .. مادة عضوية مكتملة من حيث التركيب الكيماوي والحيوي ولكنها في حاجة إلى وضع النقط فوق الحروف .. التوصيلات الضرورية لتشغيل المخ يكتسبها الصغير من العالم من حوله وهي تتم على ثلاث مراحل ..

المرحلة الأولى تبدأ مع اليوم الأول للقاء الصغير بصدر أمه .. ويتعلم كيف يحب .. وللطفل الذي يعزل عن أمه بعد ولادته ، يعيش حياته كلها غير قادر على إقامة علاقة حب طبيعية ..

المرحلة الثانية هي التغلب على الخوف من الآخرين .. والثالثة هي السيطرة على نزعة العدوان وتهذيبها .. وكل هذه المراحل تتم خلال سنوات العمر الأولى .. وإذا لم يمنح الصغير هذه الفرصة في وقتها .. فقدها إلى الأبد .. وهذا هو سر شقاء العالم ..

ومن المفيد هنا أن تستمع إلى وجهة النظر الاسلامية التي تهز ضمير الأم مذكرة إياها بدورها الخطير .. في هذه الحياة .. لو

أحسنت الفهم .. وعادت إلى الحق الذي اتضحت معالمه .

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي :

(من المصالح الكبرى التي جعل الاسلام المرأة من أجلها من وراء الحجاب أن يتطهر على الأقل ذلك الصدر الذي يتغذي بلبانه الطفل المسلم . فيبقي مشرقاً بنور الاسلام وأن يحفظ على الأقل ذلك الحجر الذي يتربي فيه الطفل المسلم من تأثير الكفر والضلال وفساد الأخلاق والأعمال . وأن يقام حول ذلك الجهد الذي يجتاز فيه الجيل المسلم منازل حياته البدائية جو إسلامي خالص وأن تحرس من فعل المؤثرات الخارجية تلك الحدود البيئية على الأقل ـ التي ترتسم فيها على ذهن الطفل وقلبه الصافي أولى نقوش التعليم والتربية والمشاهدة . « فالحريم البيتي » إذن هو أحكم وأمنع قلعة للحضارة الاسلامية بنيت في الحقيقة لأجل أن تلجأ إليها هذه الحضارة متي انهزمت من الميدان الخارجي ..

ولكن للأسف إنَّ هذه القلعة أيضاً قد بدت فيها أعراض الخراب وأصبحت آفة الطريقة الأجنبي تدخل البيوت أيضاً ...)

وزايل الحياء المرأة حين خرجت إلى مزدحم العمل ..

(... وانا نتساءل : إن كنتم أنتم الذين تربيتم في حجور الأمهات العابدات الصالحات قد إنحدرتم إلى هذا كله فماذا يكون إذا افتقدت نساؤكم أيضاً الغيرة الايمانية وتخطية حدود الاطاعة لله ولرسوله .

وماذا تكون حال الأجيال التي ستنشأ في حجور اولئك الآنسات المتفرغات الجديدات ؟

وقل لي بربك إنَّ الأولاد الذين سيرون أول ما يفتحون أعينهم آثار الحياة الافرنجية فيما حولهم . ولن تقع أعينهم البريئة على مظهر من مظاهر الحضارة والتمدن الاسلامي)[1] .

إن الأم .. حين اختصها الاسلام بحضانة الولد وملازمته .. فليس حرصاً منه على نموه المادي فقط .. بل لتكوين عواطف الترابط الحقة بينهما .. والتي تنسحب على المجتمع مستقبلاً ..

وهذا سر إلزام الرجل بالانفاق عليها : زوجة ومطلقة . إحتفاظاً بها مصدراً لنموه النفسي والحسي معاً .

فإذا ما أفلحت الأم في ربط الولد بها .. فانها في ذات الوقت تكون قد كسرت في نفسه خلق الأنانية ..

هذه الرذيلة التي لا تتوارى إلاّ أمام عاطفة الحب يجيش بها قلب الصغير .. وعن طريقها يحس بالغير .. وما له من حقوق تنسيه تعصبه لنفسه .. ليحيا بعد ذلك لمجتمعه ..

وهكذا تكون أهمية الأم .. ولا يمكن لقوة أخرى أن تقوم بدورها الكبير .

(إن تربية الطفل في حضانة ـ أى بغير أم ـ ولو لفترة من اليوم . أى أثناء عمل الأم يضر بالطفل نفسياً . ويجعله يشعر بأن الحياة ليست دافئة بل يتولد لديه الشعور بأن البينة التي حوله بيئة عدائية فينشأ على درجة كبيرة من الشعور بعدم القبول في الكبر . ويعاني صعوبات الأخذ والعطاء في المجتمع ومن عدم النضج

---

(١) نحن والحضارة الغربية لأبي الأعلى المودودي ص ٢١٤ : ٢١٦ .

الانفعالي[1] .

ومعني ذلك :

أن الاحساس بالواجب والالتزام به سوف لا يكون قوياً في نفس الطفل إزاء بيئة لم تستطيع تهيئة الجو المناسب له . والأخطر من كل هذا أن توجيهات الاسلام بضرورة أخذه بالصلاة .. وتدريبه على شعائر الاسلام سوف تذهب سدى في غيبة الأم التي يصبح عملها مانعاً بالنهار وهما بالليل .. فلا يترك في نفسها همسة تتحرك لأخذ ولدها بشعائر لا بد منها كأساس لحياته المقبلة .

وأين هي الأم الحريصة على أن تأمر ولدها بالصلاة لسبع .. وتضربه عليها لعشر .. بينما هي في الديوان مأمورة وليست آمرة : بل ولا تسمح لها همومها بأداء الصلاة في أوقاتها ؟ :

وأين ولدها من قصص التاريخ التي تلبي حاجاته إلى المعرفة وحب الاستطلاع وتنشيء في ضميره يقظة تعده للعمل .. والحال أن أباه وأمه معاً مشغولان بأخبار .

الترقيات والدرجات .

إن المرأة العاملة تستفيد ..

أصحيح هذا ؟ نعم !! ـ لماذا ؟

لأن ضغط الحاجة وغلاء الأسعار فرضا عليها العمل .. ولكن :

أمقنع هذا ؟ كلا ! .. لماذا !

---

(١) مشاكل أطفالنا ٢٦٤ : ٢٦٥ .

لأن عمل الأم سوف يقتصر على أن يجعل حياة الطفل «ممكنة» ولكن إمكان الحياة ليست غاية التربية في الإسلام . . وإنما غايته العليا أن يجعل حياة الانسان طيبة مباركة مثمرة . . وذلك يتطلب أن تقف أمه إلى جانبه . . تراقب هذا النهر الفوَّار بالعواطف . . تقترب منه . . وتتابعه . . وتسترسل معه إلى أن يفيض خيره ويعمم بره . .

ومن هنا كانت عظمة المرأة في حسن تبعلها لزوجها . . وتربيتها لولدها . . وليست في شئ وراء ذلك وربما كان من المفيد هنا أن نثبت رأياً للكاتب الأستاذ «علي أمين» يشيد فيه بهذا الدور . . وهو في مقدمة الداعين إلى تحرر المرأة :

يقول الكاتب :[1]

(إن الذين زاروا بلاد الدنيا يقولون :

إن المصرية هي أعظم أم في الدنيا . . وأصبر زوجة في الدنيا . . وأنا شخصياً لا يهمني لو كانت المرأة المصرية أعظم مهندسة ، أو أعظم طبيبة ، أو أعظم عالمة كيمياء . . يكفي المرأة المصرية أن تكون أعظم أم .

لقد كانت أمهات الأمس أسعد من أمهات اليوم . . لأن كل واحدة منهن كانت أمنيتها أن تكون ملكة . . أى أن تكون أماً ! .

فإذا قلنا إنَّ أشرف عمل المرأة في بيتها . . فلا تنفرد بهذا القول . . ولكنه أيضاً رأى الكتاب «التقدميين» ، ولرأيهم وزنه

---

(١) الأخبار ١٥ / ٢ / ١٩٧٦ .

الخاص .. من حيث كانوا متمرسين بالتجربة .. ورأوا بأعينهم .. وسمعوا بآذانهم .. وانتهوا إلى هذه الشهادة التي نعتز بها..

وندعو هؤلاء الكتاب أن يكونوا عند مستوى هذه الشهادة في حياتهم العملية .. تعميراً للبيت .. وتوفيراً للإنتاج !! عليهم أن يجتهدوا فعلاً في كل ما يكتبون ويتخذون من قرارات أن يكونوا عند حسن الظن بهم .. فلا يصفقوا لأعظم طبيبة .. أو لأعظم مهندسة .. في الوقت الذي تخلف من ورائها ذرية ضعافاً تصوغهم الشغالة حسب هواها .. ولن تستطيع العقلية الفائقة في مجال الطب أو الهندسة أن تبني بهذا العقل ما هدمته اليد الآثمة .. وإذا كان الحديد لا يفله إلاّ الحديد كما يقولون .. فان العواطف التي تكونت في غيبة الأم لا تزول بالفلسفة الكاذبة .. وإنما بعاطفة مضادة .. تتفجر من قلب الأم الرءوم .. فتصلح ما فسدت الأيام .. وتعيد إلى البيت صفاءه ونقاءه .. قبل أن تهرب الذرية إلى مجالات الانحراف .. في محاولة نسيان همومها في كأس من الخمر .. أو نفس من الحشيش؟![1].

شبهة مردودة :

قد يقال مثلاً:

إنه يمكن التوفيق بين عمل المرأة والتزاماتها الأسرية..

وربما كان لهذا الادعاء ما يبرره لو كانت غايات الزواج حسية

---

(١) ذكرت الاحصائيات أخيراً أن ثلاثمائة ألف مراهق هربوا من ذويهم في أمريكا .. وأن نصف الشباب هناك يتعاطى الحشيش !!

بحتة .. يمكن توزيعها على ساعات اليوم ..

ولكن غاياته معنوية روحية بالدرجة الأولى .. فلا يصبح لهذا الادعاء سند معقول ـ على ما يشير إليه قول الحق سبحانه :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها . وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[1] وكيف يتحقق السكن وتزدهر المودة والرحمة في مزاج الرجل وقلوب الأولاد في غيبة الأم الغارقة هناك بين الأوراق والقضايا .. إلى حد يجعلها هي أولى بالمودة والرحمة .. وكان الظن أن تكون هي مصدرها ومنبعها الأصيل ؟!

هذا بالاضافة إلى أن العوامل الروحية ليست أرقاماً تقبل القسمة على عدد ما . بحيث يمكن حبس جزء منها لفرصة قادمة ..

يقول الأستاذ البهي الخولي :

(إمكان التوفيق بين العملين ـ البيت والوظيفة ـ دعوى من لم يكلف نفسه جد النظر في الأمر :

فان السكن مثلاً وما يثمر من مودة ورحمة ليس من الأمور الحسية التي يمكن توزيع الوقت عليها . فلا يقال للزوجة مثلاً :

دعي السكن إلي ما بعد الظهر . ثم زاوليه ما شئت .

وكذا لا يقال للطفل : أن يكف عن التقاط تصرفات الخدم على اختلاف صورها في الاهمال وتفاهة الفكر وضعف التقدير لغايات الحياة وقيمها .. لا يقال له أن يكف عن ذلك إلى أن تحضر أمه من الخارج)[2] .

---

(١) الروم ٢١ .

(٢) الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة ٢٢٨ : ٢٢٩ .

فاذا أضفنا إلى ذلك إحتمال كون الخادمة مشغولة باولادها في بيتها يتبين لنا كيف تداخلت المشكلة وتعقدت حلقاتها على نحو يفرض علينا اتباع توجيه الاسلام لحل هذه المشكلة التي لا يترتب عليها ضعف الانتاج .. بقدر ما تؤثر في حياة أجيال هي بين أيدينا أمانات لا بد أن نحافظ عليها .. بالعودة إليها ـ الى هذه الأمانات ـ في البيت .. لتكون إلى جوار أولادها عوناً وسنداً .

ولماذا نذهب بعيداً .. والمرأة العاملة التي خاضت تجربتها تعبر اليوم عن مرارتها وحيرتها . ومدى ما لحق ببيتها وولدها من ضرر نتيجة انشغالها . بعملها الخارجي وتجاهلها رسالتها الخطيرة ..

ومن بين البحوث المتعددة نختار تحقيقاً صحفياً لمحررة بجريدة الجمهورية تقول : تحت عنوان : كيف توفق المدأة بين البيت والعمل ؟ :

الأم في أسوان .. وطفلها في القاهرة :

مشهد رأيته ولا أنساه :

مشهد أم تقبل ابنتها النائمة في إحدى وسائل المواصلات العامة بلهفة وشوق شديدين وتحاول إيقاظها بطريقة غريبة .

وعندما أحست بنظرات الدهشة ممن حولها كان كلامها :

إنها لا ترى ابنتها سوى يومي الخميس والجمعة كل أسبوع لأنها تعمل مدرسة باحدى قرى الجمهورية وتترك ابنتها مع جدها وجدتها بقية أيام الأسبوع .

هذه المشكلة وغيرها . يعيش فيها عدد كبير جداً من الأمهات العاملات وفي لقاء الجمهورية مع بعض السيدات العاملات دار

الحديث عن مشكلات العمل. والبيت. ورعاية الأولاد:

قالت إحدى العاملات:

(إن مشكلة التوفيق بين العمل والمنزل. ورعاية الأولاد والاهتمام بالزوج تتحملها المرأة وحدها:

ويزيد على ذلك طبيعة العمل المرهق الذي أقوم به:

فأنا مأمورة جمرك بالمطار: أعمل بنظام الورديات في أوقات مختلفة. ولمدة طويلة. ومنها «دورية البيات»[١] في العمل بالمطار ومدتها ١٢ ساعة متواصلة طول الليل حتى الصباح.

والورديات الأخرى من الساعة الثانية ظهراً حتى العاشرة مساءً. والأخرى منذ الصباح الباكر حتى الرابعة بعد الظهر..

وهكذا طوال أيام الأسبوع فكيف أستطيع أن أقوم بدوري كأم لطفل رضيع في ظل النظام المرهق.. وبواجبي نحو زوجي ومسؤولية رعاية البيت؟.

وسيدة أخرى مسيحية تقول:

إنها تترك ابنتها الصغيرة بصفة دائمة مع والدتها بالقاهرة.. وتحرم منها أياماً وشهوراً. وهي تستغل كل فترة إجازة لتأتي إلى القاهرة لترى ابنتها التي تشعر بأنها لم تقم نحوها بأى واجب من واجبات الأمومة.

وهكذا تعيش الأم في حنين دائم إلى ابنتها.. والبنت هناك أشد حنيناً إليها. والنتيجة: ضياع الاستقرار العائلي في دوامة القلق.

---

(١) نوبة الليل.

وضياع الانتاج أيضاً .. مع هذا الاضطراب الذى لا يمكن من العمل فضلاً عن إجادته .. وقد أثبتت التقارير هذه الحقيقة :

فقد ذكرت الأنباء أن وكيل وزارة المالية (طلب دراسة عن العاملات فى وزارته فتبين أن ٣٠٠ منهن يتركن أطفالهن فى البيت مع الشغالة . ولذلك يقضين أوقاتهن بالوزارة فى قلق)[1]

والشجاعة الأدبية تدفع بعض العاملات إلى التصريح بالضرر الواقع من جراء عملها فتقول ثالثة ممن شملهن التحقيق السابق :

(إن وجود الأولاد مع الجدة . وحرمانهم من رعاية الأم وحنانها . يؤثر نفسياً على شخصية الطفل وشخصية الأم فى وقت واحد)

والغريب أن المرأة التى تعترف بهذه النتيجة المؤسفة لا تزيدها الأيام إلاّ إستمساكاً بعملها والدفاع عنه ؟!

أى لا تزيدها إلاّ مضياً فى الطريق على أشلاء ولدها متجاهلة حاضره ومستقبله !!

إنها فقط تذكر هنا ما تعلمته فى الجامعة من دروس فى علم النفس .. تحفظها جيداً .. وتصبها حبراً على ورق ..

أما الاستجابة إلى ما فى هذه المعلومات من حقائق ثبتت صلاحيتها لها شخصياً .. فهذا آخر ما تفكر فيه .

إنها دخلت التعليم إبتداءً .. وفى خيالها طيف الشهادة .. وربما ارتفعت همتها قليلاً لتتصور تفوقها فى الحصول عليها ..

---

(١) الاهرام ١٩٧٤/١٠/٢٢ .

لكنها لا تفكر في أنها سوف تنجب ولداً هو بدوره يسعى للحصول مثلها على شهادة .. ويريد أن يكون في المجتمع رجلاً يحقق مضمون هذه الشهادة ..

وإنها وحدها التي تعينه على ذلك .. لكنها للأسف تخلت عنه في ساعة العسرة .. وباتت تندب حظها العاثر ..

ثم تتحدث رابعة عن عملها .. وكيف يفرض عليها أحياناً لوناً من الصراع النفسي حين تترك وليدها مريضاً وتذهب إلى عملها .. ومشكلتها هي : على حد تعبيرها :

مرض الطفل الذي يتطلب أن أمكث معه بالمنزل حتي يتم شفاؤه .. وهذا غير ممكن لارتباطي بعملي . فالمرأة العاملة لا تجد الوقت الكافي لراحتها ورعاية أسرتها . وهذا يؤثر على نفسها . وعلى طاقتها الانتاجية في العمل .

كما يؤثر على جو الحياة العائلية في البيت)[1]

ومعني ذلك أن القروش التي جلبتها الوظيفة جلبت معها في ذات الوقت هموماً ومتاعب لا تهدد حياة الذرية فقط .. لكنها مع هذا تؤثر على الإنتاج .. كماً وكيفاً ..

كما أنها تنقص عمر المرأة رويداً رويداً بهذا القلق الذي ينهش حياتها كالسم البطيء .. وهو الأمر الذي نبهت إليه المنظمات العالمية :

إن (آخر تقرير خرج من منظمة الصحة العالمية يدق ناقوس

---

(١) الجمهورية ١٩٧٤/٤/٢٢ .

الخطر للمرأة العاملة .. يقول التقرير :

إن عمر المرأة التي إشتهرت بأنها أطول عمراً من الرجل أخذ في التناقص وذلك لسببين :

١ ـ خروج المرأة للعمل .. ثم عودتها مرهقة .. لتجد واجبات المنزل في إنتظارها .

٢ ـ كثرة التدخين ! ! [١]

وقد أكدت الأيام صدق ماذكرته الهيئة العالمية وتوالت التقارير التي تنذر بخطر داهم يكاد يحيق بالمرأة بعد أن أرهقها العمل . وأضناها السباق في أوضاع غير متكافئة وكانت النتيجة تزايد نسبة الانتحار بين صفوفهن ..

المرأة أكثر تفكيراً في الانتحار من الرجل
٨٨ إمرأة مقابل ٢٨ رجلاً تخلصوا من حياتهم في العام الماضي [٢]

محاولة إنتحار (شهيرة فتحي) طالبة الجامعة التي القت بنفسها من الدور الخامس بالمدينة الجامعية .. لا يجب أن تمر كمجرد حادثة إنتحار تحتل بضعة سطور في الصحف ، ثم تنتهي كغيرها من الأخبار دون أن نمس جوهر المأساة التي يطويها أو نعالج المشكلة التي ينبه إليها .. فهذا الحادث إلى جانب إنه ترك فتاة في عمر الزهور عاجزة تماماً بعد أن تدخل القدر لينقذ حياتها بجراحة تشبه

---

(١) مجلة الاعتصام ـ رمضان ١٣٩٤ .
(٢) الجمهورية ١٩٧٥/١/٢٤ .

المعجزة .. فهو ـ أيضاً ـ يعتبر دلالة خطيرة لما تعانيه البنت المصرية والمرأة عموماً هذه الأيام ، من صراع رهيب يدور داخلها للتكيف بين نفسها وواقع المجتمع الذي تعيشه .. والأرقام في المستشفيات وأجهزة الأمن تسجل إرتفاعاً خطيراً في نسبة إنتحار الفتيات والسيدات ، فضلاً عن دوامة القلق والتوتر والاضطرابات النفسية التي تعيشها الأغلبية العظمى .. حتي أصبح الأمر يهدد بأن تتحول هذه المحاولات الفردية المتزايدة الى ظاهرة لابد وأن تمتد إليها يد الأجهزة المسئولة بالدراسة .

ونتيجة هذه الدراسة معروفة سلفاً .. وسوف تثبت أن القلق المستمر والذي يملأ حياة المرأة هو المسئول وحده عن هذا العمر المبعثر ..

وإذا أرادت المرأة أن تحسن التكيف مع مجتمعها .. فالحل بين يديها .. ومن خلفها .. وليس إلى الأجهزة المسئولة !

فاذا لم تفعل .. فان القلق المتزايد في كيانها سوف ينصب لعنة على البيت كله .. لعنة تأكل الأخضر واليابس ..

وأقصد بالأخضر هنا : الذرية الضعيفة .. التي تتقاذفها الأمواج فلا تستقر على حال .. من القلق !

وقد ترامت الأنباء أخيراً مؤكدة أن هذا القلق قد تحول إلى رغبة في الخلاص .. من الطفل ذاته !

حدث ذلك في اليابان حيث كثرت حوادث تخلص النساء من أطفالهن وهم مايزالون في عمر الزهور ؟!

ولم تستطع مظاهر التقدم في اليابان أن تملأ الفراغ الهائل في

البيوت هناك..

بل عجزت غريزة الامومة أن تصد هذا التيار الجارف. تقول صحيفة الاهرام (١٩٧٦/٢/١١).

(إن ظاهرة قتل الأمهات لأطفالهن وهم في سن الرضاعة مازالت مشكلة محيرة تثير الدهشة والرعب لدى كل من العلماء والمسئولين في اليابان. في السنوات الأخيرة لقي ٢٠٠ طفل حتفهم بطريقة وحشية قبل أن يتموا العام الأول من أعمارهم).

وفي تحليل هذه الظاهرة يقول التقرير:

ويبدو أن هذه الظاهرة الخطيرة نشأت نتيجة للتغيير الذي أحدثته الحياة العصرية في نظام معيشة الأسر اليابانية، ففي الماضي كانت الفتاة تستمر في الاقامة في بيت أسرتها بعد الزواج أو تنتقل للاقامة في بيت أسرة زوجها، وفي كلتا الحالتين كانت الأم الصغيرة تجد دائماً بجانبها سيدة متقدمة في السن خبيرة بشئون تربية الأطفال تتولى إرشادها وتوجيهها أو تخفف عن كاهلها أعباء رعاية طفلها الوليد.

أما الآن، مع وجود البيوت العصرية الضيقة، فان المتزوجين حديثاً ينفصلون عن أسرهم ويستقر كل زوجين في مسكن مستقل، وبينما يعمل الأب معظم ساعات النهار أو يقضي معظم الليل في الشراب مع أقرانه فان الأم الشابة. غير المدربة تجد نفسها وحيدة في البيت مع طفلها الذي لا تعرف كيف تسكته كلما بكى.. وينتهي بها الأمر إلى الاصابة بانهيار عصبي.

وتلك واحدة من بركات المدنية الحديثة.. التي تجاهلت الايمان

بالله عز وجل فصيرت البيوت قبوراً ..

وإذا كان الجهل في الماضي قد دفع بالوالد إلى قتل ولده مخافة الفقر أو العار ..

فقد كان الظن بالحضارة المعاصرة أن تتجاوز هذا التصور السقيم للحياة .. ولكن الذي حدث هو العكس .. وارتفعت نسبة الجرائم في البلاد التي أفسحت للمرأة فيها مجال الحرية والعمل بلا تخطيط [١]

وبلغت تلك الجرائم قمتها في مثل هذه المواقف التي تقتل فيها الأم ولدها .. ولا تكون القضية هي ترميم البيوت القائمة لتستقيم على الجادة .. بل تصبح القضية أخطر من ذلك حين تذهب البيوت برمتها فوق موجات القلق المندفعة بأناس يبيعون حياتهم بأرخص الأثمان ... في عصر يزعم العالم فيه أنه الغى الرق .. والذي يفعله هو الرق بعينه ! !

إن الفلاحة في ريفنا الطيب ـ إذن ـ أسعد حالاً ـ والوطن بها أسعد ـ لأنها تزاول العمل بائعة ومشترية في دروب القرية .. إلى جانب بيتها أو قريباً منه .. بل أنها لتذهب إلى الحقل عاملة على مدى نهارها .. ولكن في صحبة زوجها أو أخيها أو ولدها .. فتحسن هذا العمل . وتغرب الشمس فتعود إلى المنزل في صحبة مباركة .. ويد خضبها الكفاح .. وإنها ليد يحبها الله ورسوله لأنها حققت زيادة الانتاج ..واستشعرت بفطرتها السليمة أهمية العمل

(١) راجع كتاب الجريمة والمجتمع للدكتور فؤاد زكريا ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

من أجل الرزق .. وهو المفهوم الذي قصد إليه الاسلام .. كما بيناه آنفاً .

وليت المنادين بعمل المرأة تقليداً للأجانب .. أن ينادوا بتقليدهم فيما يفيد . وفيما هو اساساً من توجيهات الاسلام .

وليت المرأة العربية المسلمة تفتح عينها جيداً لتقرأ ما صرحت به مديرة معهد التجميل في لندن من أن « السواك » أكثر فاعلية من فرشاة الاسنان في الحفاظ على سلامتها ونظافتها[1]

ولكن ملكة التقليد تتجه إلى القشور .. ولا تنفذ إلى الأغوار . فكان ما كان .. مما تتحمله المرأة وحدها .. دون الاسلام الذي قال كلمة الحق .. فلما حادت عن الطريق جنت ثمار سعيها قلقاً وارهاقاً ..

لقد قالت المرأة العاملة كلمتها وأعلنت رأيها .. وبقي الكثير فلم تنطق به . لم تقل لنا ما يحدث عندما تترك أولادها عند الجدة .. وقد يكون للجدة حفدة من أولاد آخرين .. وما يترتب على ذلك من خلافات وصراعات ..

ولم تتحدث عن الشك الذي يمزق كيانها بينما هي في سجوة الليل ساهرة على أزيز الطائرات .. وكان الوضع الطبيعي أن تكون هناك .. تعف زوجها ويعفها عفة تأتي على أثرها بركة تشمل الزوجين .. والذرية .. جميعاً .

ونحن نتساءل لماذا تصر المرأة على عمل لا تؤدي فيه حق

(١) الاهرام ١٩٧٤/٤/١٩م .

الله ؟ .. وهل لها من رجعة إلى عملها الفطري .. لتسري البركة في مال زوجها وحاله ؟ وكيف السبيل .. وماذا يستطيع الرجل أن يفعل في غياب زوجته ليلاً ؟ هل تقوم الخادمة الصغيرة بالعبء كله ؟

وإذا كانت كبيرة .. فما أكبر الهم . وما أعظم الغيرة .. وأمر الثمرة ! وهل تسمح رجولة الرجل أن يقوم بدور المرأة في غيابها ؟

إن ذلك ما يرفضه الاسلام بقوة .

لأنه قضاء على الأسرة كلها حين يستنوق الجمل فتنقلب أوضاعها الطبيعية .

إن هذا التمادي في التجربة مع وضوح فشلها باعتراف المرأة ذاتها .. هو من عمى الألوان لا تستبين به الحقائق .. مهما حاولت تبرير موقفها .. **﴿بل الانسان على نفسه بصيرة .. ولو ألقى معاذيره ..﴾**[1] إنه التقليد .. والتقليد الأعمى الذي يطوي في إندفاعه مدارك الانسان فلا تحسن الاستفادة بالحاضر .. كما لا تحسن قراءة التاريخ :

لقد إتصل أسلافنا بالأدب اليوناني فلم ينبهروا به كما ينبهر شبابنا وفتياتنا اليوم ..

لكنهم تعاملوا معه بشخصية مستقلة تدرك خصائصها الذاتية .. وتدرك بيئتها وما يلائمها .. وفوق ذلك تشعر برصيدها من قيم الدين الحنيف .. فلما إكتشفت ركيزة هذا الأدب الوثنية حين

---

(١) القيامة ١٤ ـ ١٥ .

صورت الصراع الدائم بين الاله والانسان .. رفضت هذا الأدب الذي لا يصور حقيقة الانسان .. واستمسكت بقيمها هي .. ورفضت أن تستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير ..

والمرأة « المتعلمة » التي تدرك حقائق علم النفس مسئولة عن سمعها وبصرها وقلبها .. أمام خالق الاسماع والأبصار والقلوب ..

هذه المسئولية التي تفرض عليها أن تقف إلى جوار ولدها المستعد ـ كما تعلمت في الجامعة ـ لانطباع المؤثرات عليه .. ثم علق عواطفه وشدة حاجته إليها . بل وشدة احتياج زوجها إليها .. إنها ركيزة البيت وفي غيبتها تصعب الحياة أو تستحيل ـ يقول الامام الغزالي :

(لو تكفل الرجل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته . ولم يتفرغ للعلم والعمل . فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل . عون على الدين بهذه الطريق . واختلاف هذه الأسباب شواغل . ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش . ولذلك قال أبوسليمان الداراني رحمه الله :

الزوجة الصالحة ليست من الدنيا . فانها تفرغك للآخرة . وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً)[1]

فلنتأمل هذا التوجيه الصادر من عالم عاش في القرن الخامس الهجري .. ليزداد حذرنا . وتعترف بأن كثيراً من الرجال الغيورين يأبون هذا الوضع الشاق بحكم إنسانيتهم .. ومع إفتراض حسن

---

(١) الأحياء ج ٢/٢٧ .

النية وطهارة معدن الانسان في صحبة الاسلام حيثما وجد .. إلاّ أننا باسم الاسلام أيضاً نذكر الناس بحقيقة سبق إلى تقريرها الخليفة عمر وهي : أن المرأة لا تطيق الصبر عن زوجها طويلاً وهي نقطة لا بد من تجليتها . يقول الشيخ أبوبكر الخوارزمي :

(إعلم أن غاية ما تصبر المرأة عن زوجها أربعة أشهر فما فوق ذلك ينفد صبرها . وتخون زوجها)(١)

ولهذا نرى نساء الغائبين مائلات إلى الفسق . لغيبة أزواجهن وتعطيلهن إياهن . وأصل ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة فسمع إمرأة تقول شعراً :

ألا طال هذا الليل وازور جانبه
وأرقني ألا خليـــل الاعبـــه
فوالله ـ لولا الله لا رب غيـــره
لزعـزع من هذا السـرير جوانبه
مخـافة ربي والحيــاء يكفني
وأكـرم زوجي أن تنال مراكبه

فلما أصبح سأل عنها . قالوا : فلانة بنت فلان . زوجها غائب . فذهب إلى إبنته حفصة وقال : يا بنية أنت زوج النبي ﷺ . وأوثق نساء العالمين في نفسي . وأني جئتك لأسألك عن مسألة من أمور المسلمين .... فلا تستحي مني .. وأصدقيني : كم تصبر المرأة عن زوجها ؟

---

(١) ليست الخيانة بلا زمة طبعاً .. ولكن نفاد الصبر مزلق إلى المعصية .

قالت : أربعة أشهر.

قال : وخمسة ! قالت : وخمسة .

قال : وستة ؟ قالت : لا . إلاّ بمشقة .

فأرسل إلى المرأة القائلة امرأة لتكون معها .

وكتب إلى أمراء الأجناد ألا يغيبوا رجلاً فوق أربعة أشهر. فينبغي لكل أمير أو وزير أن يحفظ هذه القاعدة والله أعلم)[1]

وحين نتأمل هذه القصة تبرز لنا عدة حقائق :

إمرأة طال غياب زوجها .. فاشتعلت في أعماقها رغبة تطلب الاشباع .

ثم تناجي نفسها في هدأة الليل مناجاة تكشف عن صراع يكاد يمزق كيانها . ولو لا إيمانها بربها .. وحياؤها .. وتقديرها لزوجها لانطلقت الرغبة على غير هدي . بيد أن الايمان العاصم صانها .. فلم تخن زوجها .. حتي عندما اختارت أن تعبر عن أشواقها آثرت أن يكون ذلك في الليل .. بعيداً عن الأسماع .. فكان صبرها جميلاً . ولما سمعها الخليفة أحس بمسئولية الحاكم .. فأسرع إلى إبنته حفصة ليعرف رأيها في مدى صبر المرأة عن زوجها .. وفي حواره مع إبنته تتبدى لنا صلة الوالد بابنته .. صلة فريدة لأنها بنت الاسلام ..

فالموضع حساس .. وربما كانت مناقشته ميسورة بين أب غير عمر الصارم الجاد . ولكن عمر عرف كيف يربي أبناءه .. ويأخذهم بلون من الشجاعة الأدبية في كل موقف تحمد فيه الشجاعة .. لأن

---

(١) مفيد العلوم للشيخ الخوارزمي دار النقد بالقاهرة ص ٢٧٥ : ٢٧٦ وفي نسبة هذا الكتاب للخوارزمي نظر .

الله لا يستحي من الحق ..

بل إنَّ الخليفة يمثل روح الاسلام أصدق تمثيل حين لا يعالج الحادث على نحو فردي ..

لكنه يتعرض له (كمأساة من أمور المسلمين) فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ..

ثم إن التهاون في مسألة فردية .. يشجع على التمادي في الباطل . فتسري العدوى وتنحل الروابط . ومعظم النار من مستصغر الشرر .

ولما كشفت له النقاب عن مدى صبر الزوجة على غياب زوجها . أصدر أمره إلى الأمراء بأخذ هذه المدة في الاعتبار . حفاظاً على الأسرة من الانهيار . وفي نفس الوقت أرسل إلى المرأة المغيبة إمرأة أخرى . تؤنس وحدتها حتي يعود الغائب . وكان ذلك اجراء تربوياً شغل به النفس الوالهة بالحق في صحبة أختها المؤمنة .. حتي لا تشغلها وساوسها بالباطل .

وفوت بذلك على وساوس الشيطان أن تهزم الارادة في كيان المرأة الوحيدة . مشيراً بذلك إلى أن التدين وإن كان صحيحاً إلاّ أنه لا يمنع من الانهيار . ولا بد من تدخل الحاكم ليضرب على كل يد عابثة .

وفي التعبير بلفظ الزوجية ما يشير إلى عسر صبرها .. لأن لها زوجاً موجوداً فهي تحن إليه أبداً ..

أما المرأة التي لا زوج لها .. فالمفروض أنها تستطيع الصبر ولو

امتدت بها وحدتها العمر كله .. حيث رتبت أمورها على هذا النحو .

وبعد . فما هو الحل إذن ؟

إن الطريق إلى حل أوفق يبدأ من حسن فهم الزوجة لطبيعة عملها في البيت وأنه جد خطير :

وأنَّ كل درجة أو ترقية في مجال عملها لا تساوي تربية ولد واحد تستأنف به من جديد حياتها .. فيكون ذكراً لها ولزوجها .

سئلت إحدى الأمهات :

ألم تصنعي طول حياتك كتاباً أدبياً ؟

قالت الأم : (بلى .. لقد صنعت كتابين لا كتاباً واحداً .. فتساءلت جارتها عن عنوانهما ؟

فأجابت الأم : إنهما فلان .. وفلان .. ولداى العزيزان .

إنني لم أخط تصنيفي إذن على الورق . بل نقشته في قلبي طفلى العزيزين وعقليهما . ورسمت فيهما الدروس التي لن ينسياها . لأجعل منهما الكتابين اللذين لا ينساهما الزمان . ولا يبلى صحائفهما الجديدان) [1]

لقد عاشت هذه المرأة مع ولديها :

نظرا إليها وهي تصوم . وتصلي .. وتعامل الناس بالحسني .. فكان هذا اللقاء المتجدد نموذجاً فاضلاً أعانهما على تقليد ما فيه من واقعية حية متجددة .

---

(١) منبر الاسلام صفر ١٣٩٤ .

ولعل في حنان الأم المستمر ورؤية الوالد دائماً في محيط الأسرة ما يمنع الولد من خيانته أو التمرد عليه. بينما يعيش دائماً في ذاكرته .. مغتذياً بعطفه .. وأين هذا من رب أسرة يضرب في الأرض على غير هدى ..

ويتلفت الابن حوله .. فلا يجد الأسوة الحسنة .. ولا يحس بالحنان الأبوى .. والنتيجة انفلات العيار :

وقد بحث الكثير عن حل عادل لهذه المشكلة المعقدة في رؤوس صانعيها وقرر المخلصون منهم ضرورة عودة المرأة إلى بيتها .. وهذا هو الحل .. ولا حل سواه.

ونحن ننقل هنا بعض وجهات النظر التحررية .. لا لتضيف إلينا جديداً بقدر ما تقدم الدليل إلى المرأة من جهة تقدمية تتلقى منها عادة تصورها للحياة والأحداث كما أشرنا سابقاً. بقول الأستاذ أنيس منصور :

(ونحن ننظر عادة إلى التفرغ للحياة الزوجية على أنه ليس عملاً. مع أنه في الحقيقية عمل اجتماعي واقتصادي وتربوي ونفسي. وبعض الدول الأوربية تدفع أجراً للزوجة لأنها تعمل في البيت :

ـ أستراليا مثلاً ـ ولن يمضي وقت طويل حتي تجد المرأة نفسها أمام هذا الاختيار إما العمل. وإما الطفل. ولن تتردد أبداً في أن تختار الطفل)

ونحب أن نصحح هنا ما ذهب إليه الكاتب من أن أستراليا وغيرها من دول أوروبا تقدر عمل البيت فتعطي عليه أجراً .. بأن

ذلك اتجاه إسلامي:

لقد فرض الإسلام على الزوج رزق الزوجة وكستوتها بالمعروف .. تقديراً منه لشرف المهنة داخل البيت .. حتى إنَّ الإسلام لا يفرض على الزوجة إرضاع ابنها فرضاً .. بل إنَّ لها رغم كونه عملاً فطرياً أن تأخذ عليه أجراً .. وهذا حقها المشروع:

ويطيب لنا في هذه النقطة بالذات أن نكثر من الاستشهاد على أهمية وجود الأم في البيت .. بأقوال كتاب تقدميين من حيث كان حديث رجل الإسلام هنا مراً في بعض أفواه لا تطيق أن تسمع الكلمة منه .. وربما لو جاءتهم من طريق آخر لكان لها وقعها الخاص.

يقول الأستاذ محمد الحيوان في صحيفة الجمهورية في معرض المقارنة بين موقف الدول من المرأة وموقف الإسلام.

(.. والإسلام بعكس ذلك كله: للمرأة المسلمة شخصيتها الكاملة قبل الزواج وبعده. للمرأة المسلمة حقها في العمل وحقها في الأجر المساوي للرجل .. كل ما في الأمر أن الإسلام يعرف أن للمرأة ظروفها العصبية نتيجة أمراضها المكتوبة عليها.

لذلك لا يعطيها حقها كاملاً في الشهاة أو الميراث[1].

ويطلب منها أن تلزم البيت مالم تكن هناك ضرورة للخروج. ووجودها في البيت مدرسة للطفل ورعاية للبيت والرجل.. وحفظ

---

(١) أخذت المرأة في الشهادة والميراث حقها كاملاً .. ولم ينقصها الإسلام شيئاً .. كما يوهم كلام الكاتب .. لأن حقها مساو لواجبها ومسؤوليتها المحددة بالاضافة إلى تكوينها العضوي والنفسي المخالف لتكوين الرجل الذي يفضلها في هذين المضمارين.

لها من زحامَ الطريق .. والأوتوبيس ..

مجرد إقتراح يوفر للمرأة كرامتها .. ولكن بعض الناس لا يعقلون) .

وأهمية الاقتراح هنا تكمن في صدوره عن رجل تفرض عليه طبيعة عمله مزاملة المرأة في العمل ..

أى أنه يصدر حكمه بعد تصور دقيق واضح .. وتجربة مستمرة على الطبيعة يجيء الحكم بعدها مقنعاً .

وإذا كان من حق المرأة أن تعمل .. فان من صميم عملها أن تعني بولدها من الداخل .. بدل أن تحرص على زيادة دخلها حفاظاً على مظهره الذي يراه الناس .. ثم لا يجعل منه لبنة صالحة ..

لقد قفزت المرأة من الحجاب مباشرة إلى السفور .. ولم تستقر على سواء الصراط بين هذا وذاك .. وها هي ذي تجني ثمار غرسها مرارة في نفسها وضياعاً لولدها حين قفزت أيضاً من الجهل المطبق عليها إلى « المعرفة » المجردة ..

غير حافلة بالتربية التي لا بد منها لصقل شخصيتها .. وإعداد وليدها ..

لقد فاتها معني العدل فاضطرب الميزان .. فاختلت تبعاً لذلك الأحكام . ولماذا تحرص المرأة على حقها في العمل .. ثم لا تحرص بنفس القوة على حق الولد في أن يزود بالمباديء الضرورية لمستقبله ؟

والفرصة ميسرة .. والمسئولية كبيرة وبخاصة إذا علم الوالدان أنهما لا يكلفان بعسير :

فليسا مطالبين بتسوية فطرة الولد بعد إنحرافها .. لكن الفطرة سليمة كما خلقها الله عز وجل .. ويراد فقط مزاملتها بالتهذيب والتربية قبل أن تذهب فرصة التربية ولا تعود .

وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك .. فافترض إنتزاع الوليد من بين يدى أمه لترضعه أخرى حين ينفصل الوالدان ..

وفي نفس الوقت يلفت الأنظار إلى خطورة هذا الوضع وضرورة الابقاء على الطفل في حضن أمه .

وإذا كان الابقاء عليه مع أمه لأهمية رضاعه .. فان الاشراف على تربيته من قبل الأم أيضاً يأخذ نفس الأهمية ..

يقول إبن كثير في تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وإن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾[1] .

أى وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها إلى ذلك ..

أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه . فليسترضع غيرها .

فلو رضيت الأم بما استؤجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها ولا يخفي ما في التعبير القرآني من عتاب وتوبيخ يصور للأم أن رفضها لولدها لن يسلمه للموت .. فهناك أخرى غيرها يمكن أن ترضعه .. مع أنها لم تلده .. كما تقدم .

وفي هذا إشارة إلى جعل مصلحة الطفل ومستقبله فوق كل إعتبار .. ولو كان هذا الاعتبار « روح العصر » و « استقلال المرأة

---

(١) سورة الطلاق الآية ٦ .

اقتصادياً .. ولم يبق بعد الاقتناع إلاّ العمل بها وتنفيذها .. ولا يحتاج الأمر إلى قدر كبير من الشجاعة .. بعد أن تكفلت الوقائع اليومية بتقديم الدليل باستمرار على صلاحية الحل الاسلامي لمشاكل البيت .. ومنهجه الراشد في إرساء بنائه على أساس وطيد .

وبعـــد :

فقد أحسن بعض الغيوريين صنعاً اليوم حين تنادوا من كل مكان .. داعين إلى تفرغ المرأة العاملة لتكون إلى جوار ابنها بالرعاية في سني حياته الأولى وهى خطوة نرجو أن تتلوها خطوات تقف بالمرأة في مكانها الصحيح . لتؤدى أشرف رسالة في الوجود(١) .

في مجال التطبيق :

وحتي يأخذ هذا الاقتراح الهادف طريقه إلى التنفيذ .. يهمنا أن نقدم للمرأة العربية صورة مشرفة لعملها في الماضي .. وكيف كان لها في تربية الولد باع طويل .. فاقت به كل تصور في باب التربية .. لعل المرأة العاملة اليوم أن تنزع إلى مثل هذه الآفاق العالية دون غيرها إذا ما اكتشف أن لها في الحضارة نسباً عريقاً ..

---

(١) نشرت جريدة الأخبار ١٩٧٤/١٠/٢٨ أن المجلس الاستشاري للعمل قد وافق على منح المرأة العاملة إجازة بدون مرتب .. لتتفرغ لتربية أولادها .. وهذا القرار المحمود جاء نتيجة لقلق المرأة العاملة والتي سجلته هي بلسانها .. هذا القلق الذي تحول إلى رغبة في الخلاص : خلا .. الأم .. وولدها معاً وهو على أى حال قرار حكيم .. يؤكد صدق نظرة الاسلام وضرورة العودة إلى مبادئه من أول خطوة على الطريق .. قبل أن تستنفد الطاقات في مجال غير مجالاتها .

لقد كانت الأم تتعاهد ولدها تعاهد الزارع الضنين منابت الغرس ومساقط الغيث .

(قالت فاطمة بنت الخرشب وقد سئلت : أى بنيك أفضل ؟ :

والله ما أدري أني حملت واحد منهم تضعاً . ولا ولدته بتناً ولا أرضعته غيلاً . ولا منعته قبلاً .

ولا أنمته تئداً . ولا سقيته هدبداً . ولا أطعمته قبل رئة ولا كبداً . ولا أبته على مأقه)[1] وفي شرح هذه الجمل يقول المرحوم الشيخ عبدالله عفيفي مستنداً في شرحه إلى رأى الطب الحديث :

(الحمل التضع : أن تحمل قبيل الحيض .

وفي هذه الحالة . ينضج الرحم سائلاً يؤذي النطفة . ويضعفها . بينما هي في أول منابتها . أما ولادة الطفل بتنا :

فان يولد منكساً : رجلاه قبل رأسه . وهنالك تصاب عظامه اللدنة تحت الضغط بضرر .

والارضاع غيلاً : أن ترضعه وهي حامل . واللبن حينئذ فاسد .

والقيل : تناوله اللبن وقت الحر . وهو مفيد . بخلاف الماء الذي يضر .

والمبيت مئقا : أن يقضي ليله حزيناً وأثر ذلك على نفسية وعمق نومه .

وأما النوم التئد : فأن ينام على موضع نكد لصلابته : أو

---

(١) الشيخ عبدالله عفيفي المرأة العربية ج ٧٣/١ .

استقذاره ولكليهما تأثير قوي شديد على عظام الطفل ونمائه واتجاه صحته .

وأما الهدبد : فاللبن المتكبد : الذي لان بعضه . وذلك أما لقرب انقطاعه وإما لحالة نفسية أو جسمانية أصابت الأم . وذلك لعمرك السمم النقيع . يتناوله الطفل فيذوى عوده . وينحل جسمه . وأما الرئة والكبد فكل منهما يحتاج في هضمه إلى لعاب الاسنان فاذا لم يستوف طعامها ذلك اللعاب كان وخماً ثقيلاً . لا تملك المعدة أن تتخذ منه نصيبها من الفائدة . فيستحيل إلى إسهال شديد يعقبه ضعف شديد)[1]

هذه هي المرأة العربية .. وهذه تربيتها .. التي لم تبرز فيها لحصولها على شهادة مرموقة أو درجة علمية ..

بل كان مرد ذلك : صفاء فطرتها . وتصورها السليم لدورها الأساسي في الحياة وأنه اعداد ولدها للمستقبل .. فوضعت كل خبرتها في صالحه .

وما كان لمظاهر الحياة الصاخبة أن تلوى عنقها عن الاخلاص لوليدها .. على هذا النحو الذي وضعت به أسس الصحة النفسية والجسمية للأجيال من بعدها .. على ما كانت عليه من بساطة في العيش ..

ثم ها هي ذي حضارة الغرب تدل ببعض هذه المباديء فتزعم أنها سبقت إليها ويخدع السطحيون بادعاء كاذب يحاول سرقة تراثنا

---

(١) المرجع السابق .

الأصيل ..

تراث رسخت دعائمه المرأة العربية التي لم تكن تملك سوى فطرتها وعروبتها .. بعيداً عن كل متاع مستورد ..

لم تتلفع بفضـــل مئزرها دعد ولم تسق دعـد في العلب

ومع ذلك فقد قدمت للحياة أصول تقدمها .. وبقي على من أوقفوا حياتهم على التقليد الأعمى .. أن يعودوا إلى ماضيهم لينسجوا على منواله .. تجديداً له . وإعتزازاً به . ودعوة إليه .

وآخر دعوانا :

أن الحمد لله رب العالمين

محمود محمد عمارة

مراجـــع البحث

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ السنة المطهرة .
٣ ـ مفردات غريب القرآن للأصفهاني .
٤ ـ التكامل النفسي . د . يوسف مراد .
٥ ـ الفلسفة القرآنية للعقاد .
٦ ـ إحياء علوم الدين للامام الغزالي .
٧ ـ الاسلام وقضايا المرأة . البهي الخولي .
٨ ـ أدب الدنيا والدين . للحسن البصري .
٩ ـ البيت الاسلامي . مقداد بالجن .
١٠ـ روضة العقلا . لأبي حاتم البستي .
١١ـ الاسلام على مفترق الطرق . للسيد أبي الحسن الندوى .
١٢ـ مكارم الأخلاق . الشيخ رضي الدين أبو نصر .
١٣ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة . د . مصطفى فهمي .
١٤ـ السيرة الحلبية .
١٥ـ بلوغ الأرب للألوسي البغدادي .
١٦ـ زاد المعاد . لابن القيم .
١٧ـ سيرة إبن هشام .
١٨ـ أسد الغابة .
١٩ـ منهج السنة في الزواج . د . محمد الأحمدي أبوالنور .
٢٠ـ الأسرة في الاسلام . د . مصطفى عبدالواحد .
٢١ـ تنظيم الاسلام للمجتمع . الشيخ محمد أبوزهرة .
٢٢ـ حاشية الشيخ الدسوقي .
٢٣ـ بدائع الصنائع .
٢٤ـ حاشية البجير مي على الخطيب .
٢٥ـ مجمع الأمثال للميداني .
٢٦ـ السياسة الشرعية لابن تيمية .

٢٧ـ المحاضرات العامة . إدارة الثقافة بالأزهر .

٢٨ـ مشاكل أطفالنا . د . ملاك جرجس .

٢٩ـ علم النفس التربوي . د . أحمد زكي .

٣٠ـ أطفال بلا أسر . انا فرويد .

٣١ـ المثل الأعلى للأنبياء . خ كمال الدين .

٣٢ـ الحضانة . د . سوزن ايزكس . ترجمة د . سمية فهمي .

٣٣ـ نحن والحضارة الغربية لأبي الأعلى المودودي .

٣٤ـ الجريمة والمجتمع . لـ فواز زكريا .

٣٥ـ مفيد العلوم للشيخ الخوارزمي .

٣٦ـ المرأة العربية للشيخ عبدالله عفيفي .

٣٧ـ بعض المجلات والصحف الاسلامية والعربية .

الفهرس

مقدمة ٥
الاسلام وبناء الاسرة ١٣
تمهيد : المراد بالنشئ ١٥
معني التربية ١٧
فضل التربية ١٨
تربية الروح قبل تربية الجسم ١٩
خطر الاهمال ٢٢
فضل تربية البنت ٢٢
شروط الاسلام في بناء الاسرة ٢٤
مقصود الزواج ٢٩
قواعد الاختيار ٣٣/٣٥
الجمال من خلال التجربة ٤٦
مثل من هناك ٥٠
فاظفر بذات الدين ٥٢
الشيخ عبد العزيز البشرى ٥٣
زواج الكتابية ٥٤
تعقيب على ما جاء في المنار ٥٦

زواج الاقارب ٥٩
مع الناشئ في مهده ٧٣
تمهيد : الرغبة في الولد طبيعة الانسان ٧٥
فتنة الولد ٧٦
مثال ٨٤
قبل الميلاد ٨٦
تعقيب ٩٠
النظافة والأناقة ٩٣
عناية الاسلام بالجنين ٩٤
مبررات التحذير ٩٥
الرضاعة والحمل ٩٧
الوليد ٩٨
تحنيك المولود ٩٨
فائدة التمر ١٠٠
التهنئة بالمولود ١٠٦
العقيقة ١٠٨
اختيار الاسم ١١٢
من توجيهات الرسول ١١٥
في مجال التطبيق ١٢٤
الرضاعة ١٣٠
خصائص لبن الام ١٣٥
مدة الرضاعة ١٣٩

الظئر ١٤٢
الدقة في اختيار المرضعة ١٤٣
اللبن الصناعي ١٤٨
الحضانة ١٥٦
الأم وحق الحضانة ١٦١
ثبوت الاختيار للبنت ١٦٦
تعقيب ١٦٩
كلمة لابد منها ١٧٣
دور الحضانة ١٧٧
الدراسة والمجتمع ١٨٧
شبهة مردودة ١٩٣
المرأة اكثر تفكير في الانتحار ١٩٩
في مجال التطبيق ٢١٤
المصادر والمراجع ٢١٩
الفهرس العام ٢٠٣

صدر من هذه السلسلة

١ - تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣ - الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤ - الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد حسان
٦ - السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية	د. علي محمد جريشة
٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩ - التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسني محمد
١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣ - مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤ - دور المسجد في الإسلام	أ. علي محمد مختار
١٥ - تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧ - المرأة وحقوقها في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨ - القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩ - القراءات: أحكامها ومصدرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠ - المعاملات في الإسلام	د. عبد الستار سعيد
٢١ - الزكاة: فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. أبو اليزيد العجمي
٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمود محمد عمارة
٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨ - وحي الله - حقائق وخصائص في الكتاب والسنة	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١ - القرآن كتاب أُحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

٣٢- الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج — د. السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الإسلامي — أ. حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط — الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥- التربية النفسية في المنهج الإسلامي — د. حسن الشرقاوي
٣٦- الإسلام والعلاقات الدولية — د. محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية — اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها — د. محمود محمد بابللي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث — د. علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي [١] — د. رفعت العوضي
٤١- أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام — د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا — أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا — أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي — أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر — أ. محمد عبد الله فودة
٤٦- الإسلام دعوة الحق — د. السيد رزق الطويل
٤٧- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية — د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته — د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطاني — أ. ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن — د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية — د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي — أ. أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام — د. محمود محمد بابللي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة — أ. أسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة — د. أحمد محمد الخراط
٥٦- القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣] — أ. أحمد محمد جمال
٥٧- كيف تكون خطيباً — الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨- الزواج بغير المسلمين — الشيخ حسن خالد
٥٩- نظرات في قصص القرآن [١] — أ. محمد قطب عبد العال
٦٠- اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة — د. السيد رزق الطويل
٦١- بين علم آدم والعلم الحديث — أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢- المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان — د. محمد الصادق عفيفي
٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] — د. رفعت العوضي
٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد — الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١] — أ. أحمد سامي عبد الله
٦٦- أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة — أ. أحمد عبد الغفور عطار

٦٧- العدل والتسامح الإسلامي — أ. السيد أحمد المخزنجي

٦٨- القرآن كتاب أُحكمت آياته [٤] — أ. أحمد محمد جمال

٦٩- الحريات والحقوق في الإسلام — أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

٧٠- الإنسان الروح والعقل والنفس — د. نبيه عبد الرحمن عثمان

٧١- موقف الجمهوريين من السنة النبوية — د. شوقي بشير

٧٢- الإسلام وغزو الفضاء — الشيخ محمد سويد

٧٣- تأملات قرآنية — د. عصمة الدين كركر

٧٤- الماسونية سرطان الأمم — أ. أبو إسلام أحمد عبد الله

٧٥- المرأة بين الجاهلية والإسلام — أ. سعد صادق محمد

٧٦- استخلاف آدم عليه السلام — د. علي محمد نصر

٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢] — أ. محمد قطب عبد العال

٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢] — أ. أحمد سامي عبد الله

٧٩- كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا — د. سراج محمد وزان

٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ — الشيخ أبو الحسن الندوي

٨١- كيف بدأ الخلق — أ. عيسى العرباوي

٨٢- خطوات على طريق الدعوة — أ. أحمد محمد جمال

٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين — أ. صالح محمد جمال

٨٤- المبادىء الاجتماعية في الإسلام — أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام — د. عاصم حمدان علي

٨٦- الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية — د. عبد الله محمد سعيد

٨٧- من حديث القرآن عن الإنسان — د. علي محمد حسن العماري

٨٨- نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة — د. محمد الحسين أبو سم

٨٩- أسلوب جديد في حرب الإسلام — أ. جمعان عايض الزهراني

٩٠- القضاء في الإسلام — أ. سليمان محمد الحميضي

٩١- دولة الباطل في فلسطين — الشيخ محمد سويد

٩٢- المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل — د. حلمي عبد المنعم صابر

٩٣- التهجير الصيني في تركستان الشرقية — أ. رحمة الله رحمتي

٩٤- الفطرة وقيمة العمل في الإسلام — أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

٩٥- أُوصيكم بالشباب خيراً — أ. أحمد محمد جمال

٩٦- المسلمون في دوائر النسيان — أ. أسماء أبو بكر محمد

٩٧- من خصائص الإعلام الإسلامي — أ. محمد خير رمضان يوسف

٩٨- الحرية الاقتصادية في الإسلام — د. محمود محمد بابللي

٩٩- من جماليات التصوير في القرآن الكريم — أ. محمد قطب عبد العال

١٠٠- مواقف من سيرة الرسول ﷺ — أ. الأمين الحاج محمد أحمد

١٠١- اللسان العربي بين الانتشار والانحسار — أ. عبد الرحمن خليف

العنوان	المؤلف
١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ	أ. أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام	أ. محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي خفاجي
١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥- الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية	أ. أحمد أبو زيد
١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩- الماسونية والمرأة	أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١- الأسرة المسلمة في ضوء القرآن	د. حسن محمد باجودة
١٥٢- حرب القوقاز الأولى	د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣- المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية	أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤- المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي	د. السيد محمد يونس
١٥٥- القدس في ضمير العالم الإسلامي	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦- الطريق إلى الوحدة الإسلامية	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧- المركز القانوني الدولي لمدينة القدس	د. جعفر عبد السلام
١٥٨- الحوار النافع بين أصحاب الشرائع	د. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩- الإنسان والبيئة	أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠- الإسلام وأثره في الثقافة العالمية	أ. محمود الشرقاوي
١٦١- الموت .. ماذا أعددنا له ؟	أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢- زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه	د. محمود محمد بابللي
١٦٣- عطاء الإسلام الحضاري	أ. أنور الجندي
١٦٤- إحياء الأراضي الموات في الإسلام	أ. عاطف أبو زيد سليمان علي
١٦٥- أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة	أ. محمد بن سليمان الأهدل
١٦٦- البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام	أ. خالد الأصور
١٦٧- المسلمون في لاوس وكمبوديا	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٦٨- المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين في المجتمع الهولندي	أ. ابراهيم الدرعاوي